من روائع الأدب العالمي

سوءِ تفاهم

وقصص أخرى

عرض وتبسيط

محمد رجب

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع : ١٤٨٧٦ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي : 977-361-526-X

سفير

١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني - ص. ب : ٢٢٥ الدقي - القاهرة

ت : ٠٥ ٢٥٣٢٩٥٠٢-٠٢ فاكس : ٠٢ ٢٥٣٢٩٩٠٢-٠٢

E-Mail: info@Safeer.com Web Site: www.safeer.com.eg

المعرض الدائم

٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين

تليفون : ٠٣ ٣٣٠٤٩٤٠٣ / ٠٢

ساحر الصحراء

باولو كويليو

ساحر الصحراء
أو السيميائى

- باولو كويليو ..
  - أبرز الكتاب البرازيليين .
  - ولد فى ريودى جانيرو عام ١٩٤٧م.
  - تعرض أثناء دراسته الجامعية للاعتقال والتعذيب .
  - نشر العديد من الروايات من أشهرها :
    - الجبل الخامس ..
    - فيرونيكا تقرر أن تموت ..
    - إحدى عشرة دقيقة ..
  - تجاوز رقم المبيعات من رواية ساحر الصحراء ثلاثين مليون نسخة ، وترجمت إلى ما يقرب من ستين لغة ..
  - تفرغ المؤلف منذ الثمانينيات من القرن العشرين للأدب، ولا يزال يبدع روائع فنه الروائى .
  - حاز باولو كويليو على جائزة نوبل.

● ساحر الصحراء ..

هي رواية مذهلة ، صدرت باللغة البرتغالية للمرة الأولى عام ١٩٨٨م.

وهي للآن تتصدر قائمة المبيعات في أوربا ..

وصفها أحد النقاد بأنها تماثل كتاب " النبي " لجبران خليل جبران ، و رواية " الأمير الصغير " لسانت إكزيبوري .

تدور أحداث الرواية حول الراعي الإسباني " سانتياجو " الذي يبحث عن كنز ..

كان يتجول في ريف الأندلس بأغنامه .. وهو مختلف عن غيره..

لقد اختار مهنة الرعي ليجول العالم وترك التعليم ..

* * *

ذات يوم ودع ولديه ..

وهجر بلدته الصغيرة وسط دموع أمه و إشفاق أبيه ، ولم يكن يملك مالاً، وكان الرعي وسيلته الوحيدة لكي يكتشف عوالم جديدة ولكي يتعلم أشياء لم تتحها له الدراسة . أول ما تعلمه أن هناك لغة تتجاوز الكلام ، تلك اللغة ربطت بينه وبين غنمه حتى نشأ بينه وبينها – عبر الصمت – حب وحوار ،

تعتمد هي عليه مثلما يعتمد عليها ، يسأل نفسه هل تعرف هي لحظة يقظته فتهب من رقادها أم هو الذي يهجره النعاس لحظة استيقاظها ؟ هل تعرف مثله علامات الطريق وتسترشد بالنجوم ؟ وأية قدرة داخل تلك الحيوانات تجعلها تميّز بين الدخيل الكبير فتنفر منه وتنفره، وبين الطفل الصغير الذي يحب أن يلعب معها ويمسك فراءها ، فتتركه يلهو دون أن تزعجه؟

بدا الراعي راضيًا عن حياته وعما يعمله له الجمال والرعي، ثم إنه يحب القراءة ويصحب معه باستمرار قصة يقرؤها ويبدلها حين يفرغ منها بكتاب جديد ، وحين نلتقي به في البداية نعرف أن هذه القصص كانت وسيلة لاجتذاب الفتاة التي استهوته في المدينة والتي اعتقد أنها فتاة حياته . كانت ابنة التاجر الذي يجزّ له فراء غنمه ، وأدهشها أن تجد راعيًا فقيرًا يقرأ الكتب ، ويحكي القصص .

بدا أن كل شيء الآن استقر من جديد ، فهو يربح من عمله ما يكفيه، وهناك فتاة تنتظره وتتعلق به كما يتعلق بها ، ويوسع الشاب الآن أن يتزوج ، وأن يكوّن أسرة أندلسية صغيرة مثل كل رفاقه .

* * *

ويرى الراعي حلمًا عجيبًا . .

ويلتقي الراعي بالعرّافة ، وبملك عجوز ، وبسيميائيّ أو ساحر الصحراء في الفيوم ، وبفتاة عربية تغيّر مسار حياته هي فاطمة الجميلة .

* * *

ابنة التاجر

تبدأ الرواية بالتقاء سانتياجو – الذي وصل مع غروب الشمس بأغنامه إلى كنيسة قديمة مهجورة – بابنة تاجر الصوف .. راح الراعي يقطع الوقت بمطالعة كتاب .. وإذا بصوت يقطع عليه المطالعة .. قال صوت أنثوي إلى جواره: لم أكن أعرف أن الرعاة يستطيعون قراءة الكتب .

كانت فتاة تتجسد فيها السمات الأندلسية ، شعرها طويل، وعيناها تذكّران على نحو غامض بالفاتحين المغاربة القدامى .

ردّ الراعي الشاب: ولكن الشياه تعلم أكثر مما تضمّنه الكتب . ظلا يتبادلان الحديث أكثر من ساعتين . قالت له: إنها ابنة التاجر ، وتحدثت عن حياة القرية التي يشبه كل يوم فيها أمسه ، وحكى لها الراعي عن ريف الأندلس ، وعن أحدث ما رأى من الطرف في المدن التي مر بها، وكان سعيداً لأنه لم يعد مرغماً على أن يحدّث أغنامه طوال الوقت .

سألته الفتاة : " كيف تعلمت القراءة ؟ "

– مثل الجميع . في المدرسة .

– ولكن مادمت تعرف القراءة ، فلم أنت راعي غنم لا أكثر ؟

تهرب الشاب من الإجابة عن هذا السؤال . كان على أتم الثقة بأن الفتاة لن تعرف . استمر يحكى قصصًا عن رحلاته ، وظلت العينان المغربيتان الصغيرتان تتسعان إلى أبعد مدى ، أو تتعلقان تحت تأثير الانبهار والدهشة، ومع مرور الوقت كان الشاب يدعو فى سرّه ألا ينتهى هذا اليوم قط ، وأن يظل والد الفتاة مشغولاً عنهما لفترة طويلة، وأن يطلب منه الانتظار ثلاثة أيام . أدرك أنه يشعر بشىء لم يمر به أبدًا من قبل .

عندما بدأت أولى تباشير الفجر شرع الراعى يسوق أغنامه صوب مشرق الشمس . وفكر: " إنها لا تحتاج إلى أن تقرر شيئًا، وربما كان هذا هو السبب فى أنها تلازمنى " .

الحاجة الوحيدة التى تشعر بها الأغنام هى حاجتها إلى الماء والغذاء، ولما كان راعيها يعرف أفضل المراعى فى الأندلس ، فستظل وفية له على الدوام . حتى ولو تشابهت أيامها ونباطأت الساعات وهى تتثاقل منذ شروق الشمس إلى مغربها، حتى ولو لم تقرأ أى كتاب خلال عمرها القصير وجهلت لغة الناس الذين يحكون ما جرى فى القرى . كانت قانعة بالماء والغذاء ، وكانا فى الواقع كافيين تمامًا . . وفى مقابل ذلك تقدّم بسخاء أصوافها ، ورفقتها ، ومن حين إلى آخر لحومها .

قال لنفسه : لو أننى تحوّلت خلال لحظة إلى وحش كاسر وشرعت فى قتلها واحدة بعد الأخرى فلن نبدأ فى الفهم إلا

عندما يوشك القطيع على الفناء ، وذلك لأنها تثق فيّ ولأنها كفّت عن الاعتماد على غرائزها ، وما هذا إلا لأنى أنا الذى أقودها إلى المراعي .

وبدا الشاب يدهش للأفكار التى تنتابه ، واكتشف أنها غريبة . ربما كانت الكنيسة التى تنمو فى داخلها شجرة الجميز مسكونة بالأشباح . أيكون هذا السبب فى أنه قد رأى ذلك الحلم نفسه مرة أخرى ، وفى أنه يشعر الآن بنوع من الغضب على غنمه التى دائمًا ما ربطته بها الصداقة ؟

حَنَكَ المعطف حول جسده . كان يعرف أنه فى خلال بضع ساعات ، عندما تحمى الشمس ، ستشتد حرارة الجو بحيث لن يسعه أن يقود قطيعه عبر الخلاء ، ففى مثل ذلك الوقت فى الصيف تنام إسبانيا بأسرها . تستمر وقدة الحر حتى حلول الليل ، وعليه طوال ذلك الوقت أن يحمل معه معطفه . ومع ذلك فإنه عندما كان يشعر بالرغبة لم يكن يشعر ببرودة هذا العبء ، وكان يتذكر ، أنه بفضل ذلك العبء ذاته ، لم يكن يشعر ببرودة الفجر .

وفكر : يجب أن نكون جاهزين دائمًا لمواجهة تقلبات الجو ، وتقبّل بامتنان معطفه الثقيل .

هناك إذن معنى لوجوده ، شأنه شأن الشاب نفسه فبعد

عامين قضاهما وهو يجوب سهول الأندلس ، أصبح يعرف عن ظهر قلب كل مدن المنطقة ، وذلك هو ما أعطى لحياته المعنى : الترحال . كان ينوى أن يفسر للفتاة فى هذه المرة لماذا يستطيع راعٍ بسيط أن يقرأ . لقد ظل حتى سن السادسة عشر يتردد على المدرسة الدينية . كان أبواه يريدان أن يجعلا منه قسًّا ، لأن ذلك ما تباهى به أسرة ريفية متواضعة ظلت تكدح لمجرد الحصول على الغذاء والماء ، مثل أغنامه .

درس اللاتينية والإسبانية واللاهوت . ولكنه كان يحلم منذ صباه الباكر بأن يعرف العالم ، كان ذلك فى نظره شيئًا أهم بكثير من معرفة الرب أو خطايا البشر . وذات مساء حين ذهب ليزور أسرته، وتسلح بالشجاعة وقال لوالده : إنه لا يريد أن يصبح كاهنًا .

هو يريد أن يرحل .

يا ولدى لقد أتى رجال من كل أنحاء العالم ومروا بقريتنا . جاءوا هنا ليبحثوا عن أشياء جديدة ولكنهم ظلوا دائمًا كما كانوا ، يذهبون حتى التل ليزوروا القصر ، ويكتشفوا أن الماضى أفضل من الحاضر . بعضهم شُقر وبعضهم سُمر ، ولكن الناس فى قريتنا يرونهم متشابهين .

– أما أنا فلم أر القصور فى البلاد التى تأتى منها هؤلاء

الرجال . هكذا رد الشاب .

العرّافة ...

ويذهب الشاب إلى العرّافة لتفسر له حلمه العجيب ... لكن ما هو هذا الحلم .. ؟

قال : حلمت حلمًا واحدًا مرتين على التوالي . كنت مع قطيعي في أحد المراعي . فإذا بطفل يظهر ويلعب مع الشياه . وأنا لا أحب كثيرًا أن يلهو أحد مع شياهي فهي تخاف ممن لا تعرف، ولكن الأطفال يأتون دائمًا ليلعبوا معها، دون أن تخشى منهم شيئًا ، ولا أعرف السبب في ذلك، ولا أعرف كيف يتسنى للحيوانات أن تعرف أعمار البشر .

قالت العرافة : ارجع إلى حلمك . عندي قدر فوق النار ، ثم إنك لا تملك الكثير من المال، ولن أضيّع معك وقتي كله .

واصل الشاب مُحرّجًا بعض الشيء :

– ظل الطفل يلهو مع الشياه فترة، ثم فجأة أخذ بيدي وأقتادني حتى أهرام مصر .

سكت لحظة ليرى ما إذا كانت العجوز تعرف ما هي أهرام مصر، ولكنها ظلت على صمتها .

– ثم إنه هناك أمام أهرام مصر (ونطق الكلمتين الأخيرتين

بوضوح تام ليتسنى للعجوز أن تفهم) قال لى الصبى : لو جئت حتى هنا فستجد كنزاً مخبوءاً، وفى اللحظة التى كان يوشك فيها على أن يدلّنى على موضع الكنز صحوت فى كلتا المرتين.

لم تنبس العجوز بكلمة لبضع لحظات ، ثم عادت تمسك بيدى الشاب وتتفحصها بعناية قبل أن تقول :

– لن أجعلك الآن تدفع شيئًا، ولكنى اريد عُشر الكنز إذا ما وجدته .

أخذ الشاب يضحك ضحكة راضية . إذن فسوف يحتفظ بما لديه من مال قليل بفضل حلم عن كنوز مخبوءة . هذه العجوز لابد أن تكون عجرية حقًا . فالعجر أغبياء . سألها الشاب : إذن فكيف تفسرين هذا الحلم ؟

– يجب أن تُقسم أولا . أقسم أنك ستعطينى كنزك مقابل ما سأقوله لك . أقسم الشاب ، وطالبته العجوز بأن يكرر القسم مشيرًا على صورة القلب المقدس .

عندئذ قالت له : هذا الحلم بلغة الأرض واستطيع أن أفسره . ولكن تفسيره صعب جدًا ، ولهذا فأظن أننى أستحق تمامًا نصيبى مما ستعثر عليه .

وإليك تفسيره : يجب أن تذهب حتى أهرام مصر . أنا لم أسمع عنها من قبل قط ، ولكن إن كان من دلّك عليها طفل

فلابد ان لها وجوداً فى الحقيقة . وهناك ستجد كنزاً يجعلك ثرياً .

شعر الشاب أول الأمر بالدهشة ثم اعقبها الغيظ . لم تكن هناك حاجة إلى ان يأتى لمقابلة هذه المرأة ليستمع إلى هذا النزر اليسير . ولكنه تذكر فى نهاية المطاف انه لن يدفع شيئاً .

قال : لو كان هذا هو هذا الأمر فانا لم اكن بحاجة إلى ان اضيع وقتى ...

الملك العجوز

انصرف الراعي وهو يشعر بالإحباط وقد قرر ألا يصدق الأحلام بعد ذلك أبدًا . تذكّر أن عليه أن يفعل كثيرًا من الأشياء : ذهب ليبحث عما يأكله وبادل بكتابه كتابًا آخر أكبر حجمًا ، وجلس على دكة خشبية في الميدان لكي يتذوق بحريته النبيذ الجديد الذي اشتراه. كان يومًا حارًا ، واستطاع النبيذ – بأعجوبة لا تفسير لها شأن كثير من الأعاجيب الموجودة في الحياة– أن يذهب عنه الحر قليلاً. كانت ماشيته في مدخل المدينة في حظيرة صديق تعرّف عليه أخيرًا. كان قد عرف كثيرين في هذه النواحي – وهذا هو سبب حبه للترحال؛ حيث ينجح الإنسان دائمًا في عقد صداقات جديدة ، دون أن يتحتم عليه البقاء مع هؤلاء الأصدقاء على مر الأيام .

فعندما يرى المرء الوجوه نفسها كما كانت الحال في المدرسة الدينية يعتبرها جزءًا من حياته . وحين تصبح جزءًا من حياتنا ، فهي تنتهي إلى الرغبة في تغيير حياتنا ، وإذا لم نصبح على نحو ما تشتهي أن ترانا فإنها تستاء منا ؛ لأن الناس جميعهم يعتقدون أنهم يعرفون بالضبط كيف ينبغي أن نعيش.

ولكن أحدًا لا يعرف قط كيف ينبغي أن يعيش هو حياته

مثلهم على نحو ما، مثل المرأة التى تفسر الأحلام ، ولكنها لا تعرف كيف تتحقق .

قرر ان ينتظر حتى تميل الشمس قليلاً قبل ان يرجع إلى الريف مع غنمه ، ثم بعد ثلاثة أيام سيرى ابنة الساحر من جديد .

بدأ يقرأ الكتاب الذى حصل عليه من خورى تاريفا . كان مجلداً سميكاً ووجد منذ الصفحة الأولى مشهد دفن .

وإذا بعجوز يلكزه فى كتفه .. ويسأله عما يقرأ ..

قدم الكتاب للعجوز لسببين: أولهما ، أنه كان من المتعذر عليه تماماً ان ينطق العنوان ، وثانياً ، أنه إذا كان العجوز يجهل القراءة فسيكون عليه ان يغيّر المقعد لكى يتجنب الشعور بالمهانة .

تفحص العجوز الكتاب من جميع جوانبه كما لو كان أعجوبة وهو يقول: هه .. هذا كتاب مهم ولكنه ممل للغاية .

أصابت الشاب دهشة حقيقية . إذن فهذا العجوز يعرف القراءة هو أيضاً ، وقد سبقت له قراءة هذا الكتاب وإذا ما كان بالفعل عملاً مملاً كما يقول، فمازال هناك وقت لان يستبدل به كتاباً آخر .

واصل العجوز حديثه :

– هو كتاب يتكلم عن الأشياء نفسها التى تكاد تتكلم عنها كل الكتب الأخرى ، أى عن عجز البشر عن أن يختاروا مصائرهم بأنفسهم .

راح العجوز يتصفّح الكتاب الضخم وقال :

– أنا ملك .. كثيراً ما يقول الناس أشياء بلهاء . وفى بعض الأحيان يحسن أن يعيش المرء مع الأشياء الخرساء ، وأن يقنع بالبحث عن الغذاء والماء ، أو مع الكتب التى تحكى قصصاً خرافية عندما يرغب المرء فى الاستماع إليها ، أما عندما يتكلم مع الناس فإنهم يقولون أشياء معينة تجعلك لا تدرى كيف تواصل الحوار .

قال العجوز : اسمى ميلشيسيديك . كم لديك من الغنم؟

– ما يكفى .

هذا العجوز يود أن يعرف عن حياته أكثر مما ينبغى .

– إذن فلدينا مشكلة . أنا لا أستطيع أن أساعدك ما دمت تعتقد أن لديك ما يكفى من الغنم .

بدأ الفتى يشعر بنوع من الحنق ؛ فهو لم يطلب أى

مساعدة ، بل إن العجوز هو الذى أراد أن يشرثر ، وأبدى اهتمامًا بكتابه، قال :

– أعطنى هذا الكتاب ، يجب أن أذهب لأخذ غنمى وأواصل طريقى .

– أعطنى واحدًا من كل عشرة ، وساعلمك ما ينبغى أن تفعله لكى تصل إلى الكنز المخبوء .

تذكر الشاب حلمه ، وفجأة اتضح له كل شىء ، فالمرأة العجوز لم تأخذ منه أجرًا ، ولكن هذا الشيخ (ولعله يكون زوجها) سينجح فى أن يبتز منه أجرًا كبيرًا بكثير فى مقابل معلومات كاذبة . لا بد أن يكون غجريًا هو أيضًا . شعر الشاب بانقباض فى قلبه حين تذكر ابنة التاجر ، فمن المؤكد أن هناك بائعًا للفيشار فى المدينة التى يعيش فيها . وفى النهاية فإنْ رأى الناس فى باعة الفيشار وفى الرعاة يصبح بالنسبة إليهم أهم من تحقيق أسطورتهم الذاتية .

تصفح العجوز الكتابَ وأخذ يتسلى بقراءة صفحة . انتظر الشاب لحظة ، ثم قاطعه بالطريقة نفسها التى قاطعه بها الشيخ .

– لماذا تقول لى هذه الأشياء ؟

– لأنك تحاول أن تعيش أسطورتك الذاتية ، ولأنك

توشك ان تتخلى عنها .

– وانت تظهر دائمًا فى هذه اللحظة ؟

– ليس دائمًا على هذه الصورة ، ولكنى لم أتخلف ابدًا . احيانًا ما اظهر فى شكل فكرة جيدة ، تحل المشكلة ، واحيانًا ما اعمل فى لحظة حاسمة على ان تصبح الاشياء أيسر ، وما شابه ذلك ولكن غالبية الناس لا يلاحظون شيئًا .

ثم قال يحاور العجوز :

– الا ينفع ان اعطيك عشر الكنز ؟

بدا الإحباط على وجه الشيخ وهو يقول :

– لو اخذت تعد بما لا تملك بعد فستفقد الرغبة فى الحصول عليه، وعندما أخبره الراعى بانه قد وعد العجرية بعشر الكنز .

تنهد الشيخ وقال :

– العجر ماكرون ، وعلى كل حال فمن المهم ان تتعلم ان لكل شىء فى الحياة ثمنًا ، وذلك هو ما يحاول فرسان النور ان يعلموه الناس.

ثم رد الشيخ للشاب كتابه وقال :

– غدًا فى مثل هذه الساعة تأتينى بعشر قطيعك ،

وسادلك كيف تنجح فى العثور على الكنز المخبوء .

مساء الخير قالها ثم اختفى عبر واحدة من زوايا الميدان .

* * *

حاول الشاب القراءة ولكنه عجز عن التركيز . كان منفعلاً ومتوتراً ؛ لأنه أدرك أن الشيخ قد قال الحقيقة . ذهب حتى البائع الجوّال ، واشترى كيساً من الفيشار ، وهو يسأل نفسه طوال الوقت عمّا إذا كان ينبغى أن ينقل له ما قاله الشيخ أم لا . وفكر أنه يحسن فى بعض الأحيان ترك الأمور على ما هى عليه، ومن ثم فإنه لم يقل شيئًا ؛ فلو تكلم لقضى بائع الفيشار الثلاثة أيام يفكر فى أن يهجر كل شىء ، بعد أن اعتاد بالفعل على عربته الصغيرة . يوسعه أن يجنّبه هذه الحيرة المؤلمة .

أخذ يتجول فى المدينة ، وهبط حتى الميناء . كان هناك مبنى صغير فى واجهته شباك، وكان الناس يتوجهون إليه لشراء التذاكر .

سأله موظف الشباك : ماذا تريد ؟ فردّ وهو يبتعد : ربما غداً .

يستطيع إذا ما باع شاة واحدة من قطيعه أن يعبر إلى إفريقيا على الضفة الأخرى، وافزعته هذه الفكرة .

قال موظف الشباك لزميله : ها هو واحد آخر من الحالمين . وأضاف بينما كان الشاب يبتعد : لا يملك ما يدفع به ثمن رحلته .

فكر في شياهه وهو أمام الشباك وانتابه خوف من أن يعود إليها . كان قد تعلم خلال هاتين السنتين كل شيء عن تربية الأغنام . تعلم جزّ الصوف ورعاية الشياه الحوامل، وحماية قطيعه من الذئاب . وعرف كل شيء عن الثمن الصحيح لشراء كل واحدة منه وبيعها .

قرر أن يعود إلى حظيرة صديقه من أطول الطرق . وكان في هذه المدينة أيضًا قصر ، فقرر أن يرتقي إليه الطريق الصاعد المرصوف بالحجارة ، وأن يجلس على السور ، فبوسعه من هناك أن يلمح إفريقيا .

– أنا مندهش ؛ فقد اشترى صديقي القطيع على الفور . أخبرني أنه ظل طول عمره يحلم بأن يكون راعيًا، وعليه فهذه علامة قال حسن .

– سيكون الأمر دائمًا هكذا . ونحن نسمي هذا مبدأ المواتاة .

– إن الحياة تريدك أن تعيش أسطورتك الذاتية .

ثم بدأ الشيخ يفحص الخراف الستة ، ولاحظ أن واحدًا

منها يعرج ، وشرح الشاب ان هذا لا يهم ؛ لانه اذكى خراف القطيع ، وينتج الكثير من الصوف ، ثم سأل :

– أين يوجد الكنز ؟

– الكنز في مصر ، بالقرب من الأهرام .

ضحك الشاب ؛ فقد قالت الغجرية الشيء نفسه لكنها لم تطلب أجراً .

– لكي تصل إلى الكنز فيجب ان تنتبه إلى العلامات . لقد خطّ الله في العالم الطريق الذي ينبغي على كل منا ان يسلكه، وما عليك إلا ان تقرأ ما خطّه لك .

وقبل ان يتمكن من الرد طارت فراشة بينه وبين الشيخ، وتذكر لحظتها ان جده كان يقول له وهو طفل : إن الفراشات علامة على الحظ الحسن ، وشأنها شأن الجداجد صرارة الليل ، والجراد الأخضر ، والسحالى والرمادية الصغيرة ، والأعشاب النفلية المكونة من أربع وريقات . .

وواصل الشيخ الذي يستطيع قراءة افكاره :

– هذا صحيح بالضبط كما علمك جدك، العلامات موجودة .

ثم فتح المعطف الذي كان يتدثر به ، وذهل الشاب مما رآه .

متذكرًا الوهج الذى خطف بصره بالأمس .

كان العجوز يلبس درعًا من الذهب السميك المرصع كله بالأحجار الكريمة . إذن فهو ملك حقًا، ولابد أنه تنكر فى هذه الهيئة ليتخفّى من اللصوص.

انتزع الشيخ من درعه حجرًا أبيض وآخر أسود كانا فى وسط الدرع ، وقدمهما للشاب قائلاً :

– خذ . هذان الحجران يسميان أوريم و توميم . الأسود يعنى : «نعم» والأبيض يعنى : «لا» . وعندما لا تصل إلى الاستدلال بالعلامات ، فسوف يفيدان ، ولكن عليهما دائمًا أسئلة محددة ، واسْعَ بوجه عام لأن تتخذ قراراتك بنفسك . إن الكنز بالقرب من الهرم، وأنت تعرف هذا بالفعل ، ولكن أن تدفع الثمن ستة خراف، فهذا لأننى أنا الذى ساعدتك على اتخاذ القرار !

* * *

ساحر الصحراء

رحل الراعي في قافلة متجهة إلى مصر ..

وها هو في القيوم ...

وهناك يلتقي بساحر الصحراء ...

غريب .. يتفحص الحجرين : نعم ولا ، ويقول : إنهما حجران من بلور صخري لا يساويان الكثير ..

ثم تكون المفاجأة .. يدلّه الإنجليزي على ساحر الصحراء ..

ظل الغريب صامتًا ، ثم وضع يده في جيبه وأخرج منه بيد مرتعشة حجرين مطابقين لما معه وهو يقول :

– أنت تحدثت عن ملك .

– ولكنك لن تصدق أن ملكًا يمكن أن يتحدث إلى راعٍ.

قالها الشاب وهو يرغب من جانبه في هذه المرة وضع حد للحوار، ولكن الغريب قال :

– بالعكس تمامًا .. لا غرابة في أن يتحدث الملوك إلى الرعاة .

عندها شعر الشاب بالسعادة لوجوده فى هذا المكان . وقال الإنجليزى وكأنه يفكر بصوت عالٍ :

– ربما تكون هذه علامة .

– من حدثك عن العلامات ؟

كانت لهفة الشاب تتزايد من دقيقة إلى أخرى .

أغلق الإنجليزى المجلة التى كان يقرؤها وقال :

– كل شىء فى الحياة علامة . العالم كله تشمله لغة واحدة ، يستطيع كل الناس فهمها ، ولكنهم نسوها . وأنا أبحث عن هذه اللغة العالمية ضمن أشياء أخرى ، هذا هو السبب فى أنى هنا يجب أن أقابل رجلاً يعرف هذه اللغة العالمية وهو سيميائى . انقطع الحديث بدخول شخص عربى بدين إلى المستودع قال :

– أنتما محظوظان ، سترحل قافلة عصر اليوم إلى الفيوم .

قال الشاب : ولكنى أريد أن أذهب إلى مصر .

رد عليه العربى البدين :

– والفيوم فى مصر ، أنت تبدو عربيًا غريبًا يا أخ .

قال الفتى : إنه إسبانى ، فشعر الإنجليزى بالسعادة مع أنه

يتزيا كعربى فهو على الأقل أوربي- قال الإنجليزى عندما انصرف الرجل :

- هو يسمى العلامات " حظًا " ولو استطعت لكتبت دائرة معارف ضخمة عن كلمتى " حظ " و " مصادفة " فبهاتين الكلمتين تكتب لغة العالم . ثم واصل الحديث قائلاً للشاب : إنها لم تكن مصادفة أن رآه وفى يده حجرا أوريم و توميم ، وسأله إن كان هو أيضًا يسعى لمقابلة السيميائى .

رد الشاب : أنا أسعى للبحث عن كنز .

ثم شعر بالندم على الفور ، ولكن لم يُبْدِ الإنجليزى اهتمامًا لما سمعه وقال :

- وأنا أيضًا على نحو ما .

- وأنا لا أعرف حتى ما هى السيمياء .

قالها الشاب فى اللحظة التى دخل فيها رئيس " الشادر " ودعاهما إلى الخروج .

* * *

ويوصله الإنجليزى إلى ساحر الصحراء أو السيميائى . .

فتح الشاب عينيه عندما بدأت الشمس تبزغ من الأفق ، وفى الموضع الذى كانت تبرق فيه النجوم الصغيرة فى الليل ،

امتدت أمام عينيه غابة لا نهاية لها من النخيل شغلت كل الأفق في الصحراء .

صاح الإنجليزى الذى سقط لتوه :

– ها نحن قد وصلنا .

ظل الشاب صامتًا مع ذلك . علمته الصحراء الصمت ، وقنع بمراقبة النخيل المواجه له . مازال عليه أن يقطع طريقًا طويلاً لكى يصل إلى الأهرام ، ولن يكون هذا الصباح بالنسبة إليه ذات يوم سوى ذكرى .

أما الآن فهو اللحظة الراهنة ، العيد الذى تحدث عنه حادى الجمال ، وهو يحاول أن يعيش تلك اللحظة مع دروس ماضيه وأحلام مستقبله .

نعم ، لن يكون منظر تلك الآلاف من النخيل ذات يوم سوى ذكرى ، ولكنه فى هذه اللحظة يعنى له الظل والماء والملجأ من الحرب .

وكما أن جملاً يجأر يمكن أن يتحول إلى نذير بالخطر ، فإن غابة من النخيل يمكن أن تمثل معجزة . وفكر الشاب :

– إن العالم يتكلم بأكثر من لغة .

فكر السيميائى

" عندما يسرع إيقاع الزمن تعجل القوافل بدورها " .

وكان يراقب لحظتها مئات من الأشخاص والحيوانات إلى الواحة . أسرع السكان يستقبلون بالصياح والتهليل الوافدين الجدد ، وثار غبار حجب شمس الصحراء ، وأخذ الأطفال يتقافزون من الانفعال لمرأى الأجانب . راقب السيميائى رؤساء القوافل وقد تجمعوا لاستقبال رئيس القافلة ثم عقدوا معًا اجتماعًا مطوّلاً .

ولم يكن شيء من هذا كله يعنى السيميائى ، فقد استطاع أن يرى من قبل حشودًا من الناس يصلون ويرحلون ، وظلت الواحة والصحراء على حالهما لا يتغيران . .

رأى ملوكًا وشحاذين يقطعون تلك الفيافى من الرمال التى يتغير شكلها بفعل الرياح ، والتى تظل مع ذلك هى نفسها كما عرفها فى طفولته .وبالرغم من ذلك ، فهو لم يستطع أن يسيطر فى أعماق قلبه على قدر من ذلك الحبور الذى يشعر به كل مسافر، عندما تظهر أمام عينيه بعد الأرض الصفراء والسماء اللازوردية خضرة تلك الغابة من النخيل، ثم قرر عندئذٍ أن يركز على المسائل العلمية ؛ فقد كان يعرف أنه

سيصل مع تلك القافلة الشخص الذى يجب أن يعلّمه بعضًا من أسراره.

أنبأته بذلك العلامات وهو لم يكن يعرف ذلك الرجل حتى الآن، ولكن عينيه المدربتين ستدلانه عليه فى اللحظة التى سيقع فيها عليه بصره.

وأمل أن يكون شخصًا يمثل موهبة تلميذه السابق وفكر:

أنا لا أعرف لماذا يجب أن تنتقل هذا الأشياء دائمًا من الفم إلى الأذن. ليس الأمر هو أنها أسرار حقيقية، فالله يكشف الأسرار بحرية لكل خلقه ولم يجد لهذا سوى تفسير واحد: أن هذه الأشياء ينبغى نقلها بهذه الطريقة، لأنها دون شك من حقائق الحياة الخالصة، وهذا النوع من الحياة يصعب تجسيده فى الصور تاهيك بالكلمات؛ لأن الناس يفتنون بالصور وبالكلمات، فينسون فى النهاية لغة العالم.

فاطمة الحسناء

في القافلة التقى الراعي بأجمل فتاة .. هي كنزه الحقيقي ..

ولحظتها ظهرت شابة لم تكن ترتدي ملابس سوداء . كانت تحمل جرة تستقر على كتفيها ، ويحيط برأسها غطاء ، ولكن وجهها كان سافراً . تقدم الشاب منها ليسألها عن موضوع السيميائي .

ثم إنه وكأن الزمن توقف . كما لو أن روح العالم قد تجلت بكل عنفوانها أمام عيني الشاب .

أدرك عندما رأى عينيها السوداوين ، وشفتيها اللتين ترددتا بين الابتسام والسكون ، أعمق جزء وأحكمه من اللغة التي يتكلمها العالم، والذي يمكن لكل المخلوقات على سطح الأرض أن تسعى إليه بقلبها، واسمه الحب . شيء أعمق من البشر ومن الصحراء ذاتها ، لكنه ينبثق دائماً بالقوة نفسها حينما تلتقي نظرتان ، كما التقت هاتان النظرتان عند البئر .

حزمت الشقتان أمرهما أخيراً على الابتسام ، وكانت تلك علامة هي العلامة التي طال انتظاره لها عبر حياته، والتي ظل يبحث عنها في الكتب وعند الشياه و الكريستال ، وفي صمت الصحراء . وها هي إذن لغة العالم الخالصة ، دونما أي

شرح الان الكون لا يحتاج إلى شرح لكى يواصل طريقه فى الفضاء اللانهائى .

كل ما ادركه فى تلك اللحظة هو انه امام امراة حياته كلها ، ودونما ادنى الكلمات فلا بد أن تكون هى ايضًا قد فهمت . وانه الثقة بذلك اكثر من ثقته باى شىء آخر فى الحياة ، رغم ان ابويه ، وابوى ابويه ، قد ظلوا يقولون دائمًا انه ينبغى اولاً ان يتعرف على الفتاة ويتودد إليها ، ثم يخطبها ، ويختبر كل منهما الآخر على ان يتوافر لديه المال قبل الزواج . لاشك ان من قال ذلك لم يعرف لغة العالم ، إنه عندما يشرب الإنسان تلك اللغة يسهل عليه أن يفهم أن فى العالم دائمًا شخصًا ينتظر الآخر ، سواء كان ذلك فى قلب الصحراء او وسط المدن الكبرى ، وانه عندما يتقابل هذان الشخصان وتلتقى نظراتهما ، لا يعود للماضى ولا للمستقبل كله اى اهمية ، لاتبقى سوى اللحظة الراهنة ، وذلك اليقين الذى لا يتزعزع بأن كل شىء تحت قبة السماء قد خطته يد القدرة الواحدة ، اليد التى ابدعت والتى خلقت روحًا شقيقة لكل كائن يعمل ويرتاح ويبحث عن الكنوز تحت نور الشمس؛ لانه لو لم يكن هذا هو الحال لما اصبح لاحلام البشر اى معنى .

قال لنفسه : مكتوب .

نهض الإنجليزى الذى كان جالسًا وهز صاحبه قائلاً :

– هيّا .. سلها .

– اقترب الشاب من الفتاة ، فابتسمت مرة أخرى وابتسم أيضًا وهو يسألها :

– ما اسمك ؟

– فاطمة .

* * *

ويلتقى الراعى بفاطمة من جديد ، ويعرض عليها الزواج، فتقول له :

– أنا امرأة صحراوية وأنا فخورة بذلك . أريد لرجلى أيضًا أن يمضى طليقًا مثل الرياح التى تحرّك الكثبان ، أريده أن يوهب لى فى السحاب وفى الحيوانات وفى المياه .

ملكت الحيرة لبّ الشاب الراعى ..

لم يعرف معنى كلام فاطمة ... وها هو يلتقى بالسيميائى ..

عندما اختفت الشمس تمامًا وظهرت أولى النجوم فى السماء (ولم تكن تلمع كثيرًا بسبب اكتمال البدر) اخذ الشاب طريقه متجهًا إلى الجنوب ولم تكن هناك سوى خيمة واحدة ، وطبقًا لما قال له بعض العربان الذين صادفهم فقد

كانت تلك منطقة مسكونة بالجن، ولكنه جلس هناك وانتظر فترة طويلة .

ظهر السيميائي عندما ارتفع البدر في السماء ، وكان يحمل على كتفيه صقرين ميتين .

قال الشاب : ها أنذا .

–ما كان يجب أن تكون هنا ، أم هل شاءت أسطورتك الذاتية أن تأتي حتى هذا المكان ؟

هنا حرب بين العشائر ومن المستحيل عبور الصحراء .

ترجّل السيميائي عن حصانه وأشار بيده يدعو الشاب إلى دخول الخيمة . كانت خيمة شبيهة بكل الخيام الأخرى التي استطاع الشاب أن يراها في الواحة ، باستثناء الخيمة الرئيسية الكبيرة ، التي كان فراؤها أسطوريًا وفتش بعينيه عن أجهزة السيميائي ومواقده ولكنه لم يجد أثرًا لذلك . لم يكن هناك سوى بضعة أكوام من الكتب وموقد وسجاجيد مزينة برسوم غامضة . قال السيميائي :

– أجل ، فسوف أعد شايًا ، وسنأكل معًا هذين الصقرين. وتساءل الشاب عما إذا لم يكن هذان هما الطائرين اللذين رآهما البارحة ، لكنه لم يقل شيئًا . أوقد السيميائي النار ، وتصاعدت بعد قليل رائحة لحم شهية في الخيمة، سأل الشاب :

– لماذا أردت أن تراني ؟

– بسبب العلامات .

– نبأتني الرياح أنك قادم ، وأنك ستكون بحاجة إلى العون .

– لا . ليس أنا الأجنبي الآخر ، الإنجليزي هو الذي كان يفتش عنك .

– عليه أن يعثر على أشياء أخرى قبل أن يلقاني أنا ، ولكنه على الطريق الصحيح ؛ فقد بدأ يتأمل الصحراء .

– وأنا ؟

قال السيميائي مكرراً كلمات الملك العجوز :

– عندما نريد شيئًا ، يتآمر الكون كله لكي يسمح بتحقيق حلمنا . وفهم الشاب ، إذن فيما هو رجل آخر يلقاه في طريقه ، لكي يقوده إلى أسطورته الذاتية .

– إذن فسوف تعلمني ؟

– لا ، فأنت تعرف بالفعل كل ما ينبغي معرفته . سأضعك فقط على الطريق المتجه إلى كنزك .

– هناك حرب بين العشائر .

– ولكنّى اعرف الصحراء .

– لقد وجدت بالفعل كنزى ؛ فعندى جمل والمال الذى ادخرته من محل الكريستال، وخمسون قطعة من الذهب ، يمكننى ان اصبح رجلاً ثريًّا في بلدى .

– ولكن لا شيء من هذا كله بالقرب من الأهرام .

– عندى فاطمة وهى كنزى الاغلى من كل ما نجحت فى الحصول عليه.

وفى نهاية الرواية يعثر الراعى على الكنز، ثم يقرر العودة إلى مصر ليعيش مع فتاة كنزه الحقيقى . . كان اسمه سانتياجو، ووصل إلى الكنيسة الصغيرة المهجورة بينما كان الليل على وشك ان يحل . كانت شجرة الجميز تترعرع فى موضع الهيكل ، وكان بوسع الإنسان ان يرى النجوم من خلال السقف نصف المحطم ، وتذكر انه جاء هنا ذات مرة مع شياهه ، وقضى ليلة هادئة ، باستثناء حلم راوده .

وها هو الآن دون قطيع الغنم ولكن معه جاروف . .

ظل لمدة طويلة يتأمل السماء . فكر فى كل الطريق الذى قطعه ، وفى الطريقة الغريبة التى دلّته بها السماء على كنزه ؛ فلو انه لم يصدق الأحلام التى تتكرر لما قابل الغجرية ، ولا الملك ، ولا السيميائى ، ولا . .

" ولكن القائمة طويلة ، غير ان الطريق كان مرسومًا بالعلامات ، ولم يكن بوسعي ان اخطئ " . استغرق في النعاس دون أن يشعر ، وعندما استيقظ كانت الشمس قد اشرقت منذ مدة ، فشرع يحفر تحت شجرة الجميز .

وقال لنفسه : " أيها الساحر العجوز . لقد كنت تعرف كل شيء . بل وتركت لي قليلاً من الذهب ؛ لأتمكن من العودة إلى هذا المكان . ضحك الراهب بالفعل حين ظهرت أمامه بشهابي المهللة . ألم يكن بوسعك أن تجنبني هذا ؟ .. سمع الريح تجيبه : " لا . فلو أني اخبرتك لما رأيت الأهرام ، وهي آية في الروعة ألا ترى ذلك ؟ "

كان ذلك صوت السيميائي ، فابتسم واستأنف الحفر . وبعد نصف ساعة اصطدم الجارف بشيء صلب . وبعد ساعة كان أمامه صندوق ممتلئ حتى حافته بعملات ذهبية إسبانية قديمة ، وكانت هناك أيضًا أحجار كريمة ، وأقنعة ذهبية مرشوق فيها ريش أحمر ، وتماثيل حجرية صغيرة مرصعة بالماس . كانت بقايا حملة تسيطر البلاد منذ زمن طويل ، وأهمل الغزاة روايتها لأحفادهم .

أخرج من جرابه حجرى أوريم وتوميم ، لم يستخدم هذين الحجرين سوى مرة واحدة في السوق ذات صباح ، بعدها كانت الحياة ومسيرته عامرتين بالعلامات . وضع أوريم وتوميم داخل

صندوق الذهب . كان هذان الحجران أيضًا جزءًا من كنزه ؛ لأنهما يسجلان ذكرى ذلك الملك العجوز الذى لن يقابله أبدًا . .

وفكر أن الحياة سخية حقًا لمن يعيش أسطورته الذاتية .

ثم تذكر أنه يجب أن يذهب إلى تاريفا ، وأن يعطى العشر من ذلك كله للغجرية ، وقال لنفسه : " ما أشد دهاء الغجر لأنهم يرحلون كثيرًا . . " ولكن الريح بدأت تهب . كانت هى الريح الشرقية القادمة من إفريقيا . لم تكن تحمل رائحة الصحراء ولا التهديد بغزو مغربى .

كانت تحمل بدلاً من ذلك عطرًا يعرفه جيدًا ، وقبلة تهادت برقة ، بمنتهى الرقة حتى لمست شفتيه .

وابتسم . كانت هى المرة الأولى التى تفعلها، فقال :

– ها أنذا يا فاطمة، إنى قادم !

* * *

سوء تفاهم

ألبير كامو

سوء تفاهم

مسرحية ألبير كامو

● **حياة كامو وأدبه :**

ولد ألبير كامو بمقاطعة في الجزائر عام ١٩١٣م.

كان أبوه من العمال الزارعين .

أتم ألبير دراسته وتخرج في الجامعة، وحاز ليسانس الفلسفة في أصعب الظروف ، وحاول الحصول على دبلوم الدراسات العليا ، لكن المرض حال بينه وبين الامتحان النهائي .. في الثانية والعشرين كوّن فرقة مسرحية ، ثم أدار فرقة أخرى، وقدم لها مسرحية " سوء تفاهم " عام ١٩٣٧م.. أعدّ للمسرح عدّة نصوص من مؤلفات مالرو وأندريه جيد ودوستوفسكي ..

قام كامو برحلات إلى إسبانيا وإيطاليا ووسط أوربا، ونشر مجموعتين من المقالات : الظهر والوجه (١٩٣٧م) ، وحفلات العرس (١٩٣٨م) ، وعمل صحفيًّا . اشترك في المقاومة أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم نشر الغريب (١٩٤٢م) ، وأسطورة سيزيف (١٩٤٣م)، وبعد التحرير مثلت له مسرحيتان : " سوء تفاهم " و " كاليجولا " في عام ١٩٤٧م. حصلت " الغريب "

على جائزة النقاد . وفى عام ١٩٤٨م، مثلت مسرحية " حالة الحصار " وفى العام التالى مثلت "العادلون " ..

توالى إنتاج كامو الأدبى : " الإنسان المتمرد " (١٩٥١م)، و"السقوط " (١٩٥٦م) ، و " المنفى والمملكة " (١٩٥٧م)..

نال جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٧م. حاول كامو أن يخلق شكلاً دراميًا جديدًا : المأساة الميتافيزيقية ، وهى مأساة مركزة عميقة تعالج بلا مبالغة القضايا التى تثقل ضمير الإنسان فى القرن العشرين . يقول : " لم أقصد التعبير عن شىء ، لكنى أردت خلق شخصيات وانفعال وإحساس بالمأساة ، وفيما بعد ، فكرت كثيرًا فى المأساة الحديثة ، إن سوء التفاهم وحالة الحصار والعادلون محاولات ، بطرق مختلفة وأساليب متباينة ، للاقتراب من هذه المأساة " ..

* * *

لكن ما المقصود باللامعقول .. ؟

اللامعقول ، معناه الواسع ، هو ما لا معنى له . العالم لا معقول وكذا الإنسان ، واللامعقول بمعناه الضيق – لا يعني العالم ولا الإنسان – وإنما يعني الصلة بينهما . وهذه الصلة مواجهة . صدام الوعي الإنساني بالحائط الذي يضيق الخناق عليه . واللامعقول ينتج عن صدام الوعي نفسه ، ذلك الصدام الذي يجعل الوعي يستكشف فناء رغباته . أكثر من ذلك ، اللامعقول هو هذا الصدام ، هذا الانفصام المفاجئ : "اللامعقول أساس الانفصام ، لايوجد في أحد العناصر المقارن بينها ، بل ينشأ عن مواجهة هذه العناصر بعضها البعض .

* * *

تجربة اللامعقول ضرورية للإنسان بالقدر الذي تمكنه من تحرير وعيه، وذلك بمحوها للآراء السابقة على التحقيق . إلا أنها تكفي ؛ لأنها لا تقرر قاعدة للفعل أو السلوك .

والتمرد ، تلك الحركة التي لا تقاوم ، والتي يثور بها الإنسان على الكون والموت ، تمكنه من تخطي اللامعقول والإحساس بالوعي الحر . هذا التمرد ميتافيزيقي ، بمعنى أنه يناقش مصير الإنسان والعالم ، وفكرة التمرد هذه تبدو في سوء التفاهم ، وكاليجولا في صورة سلبية هدّامة ، ولكنها في حالة

الحصار والعادلون تبدو في صورة إيجابية بناءة ..

● **مسرحية سوء تفاهم :**

جاء ذكر هذه المسرحية التي كتبها كامو في شتاء ١٩٤٢ – ١٩٤٣م في " الغريب " ، وذلك في شكل حادثة قرأ عنها البطل ، ميرسو ، في قصاصة من ورق الجرائد وجدها في زنزانته :

" وجدت بين الفراش والواح السرير قصاصة قديمة من ورق الجرائد ، صفراء شفافة ، تكاد تلتصق بالقماش . كانت تروى حادثة تنقصها البداية ، لكن لابد ان تشيكوسلوفاكيا كانت مسرحًا لها . رحل رجل من بلدته في تشيكوسلوفاكيا طلبًا للثروة ، وبعد خمسة وعشرين عامًا عاد ، وقد أثرى ومعه زوجته وطفلته . وكانت امه واخته تديران فندقًا في البلدة التي ولد فيها ، ولكي يفاجئهما ، ترك الزوجة والابنة في مكان آخر ، وجاء لأمه لكنه لم تعرفه عندما دخل . فخطرت له ، على سبيل المزاح ، فكرة استئجار غرفة في الفندق . اظهر لأمه واخته نقوده ، وفي المساء قتلتاه بضربات مطرقة طمعًا في ماله وألقيتا بجثته في الترعة . وفي الصباح جاءت الزوجة وكشفت ما حدث ... "

ودّ كامو لو انه نقل إلى خشبة المسرح رؤياه لعالم يمزق كل

ما يتنافى و الطبيعة ، قتل الأم لابنها ، وقتل الأخت لأخيها . لم يكن هذا الحلم وليد الصدفة ؛ ذلك أنه المعنى الحقيقي للمأساة ، وعلى وجه التحديد ، للمأساة القديمة ، التي عمل كامو على إحيائها وتمنى لو أنها تجددت . وكامو ، الذي قرأ اصول المأساة ، مدين لمؤلف هذا الكتاب ، نيتشه ، بمفهومه الفلسفي للأسطورة الإغريقية وللقدر .

سوء تفاهم مأساة بمعنى الكلمة . هذا ما أكده المؤلف في النص الذي قدم به لمسرحيته .لامناص من سوء التفاهم ؛ فمن اللحظة التي يدخل فيها يان إلى الفندق إلى اللحظة التي يقتل فيها ، توشك كل شخصية ان تتعرف على الأخرى ، كان يكفي ان تلقي مارثا نظرة على جواز سفر اخيها ، وكان يكفي ان يقول الأخ كلمة واحدة ، او يأتي بحركة . لكن كل شيء يتم كما لو كان لا مفر من الكارثة ، ولا امل في إشارة من الله . ومهما فعلنا ، مهما صمتنا او تكلمنا ، فنحن في موقف المحكوم عليهم . هذه هي القاعدة . الشقاء أمر مسلّم به ، لذا يهتم المشاهد بعرضه أكثر مما يهتم بالباعث عليه . . نستطيع إذن ان نقول إن سوء التفاهم مأساة الصراحة والكلمات، تلك الكلمات التي لابد من ان تقال ، ويبحث عنها ابطال المسرحية دون جدوى .

* * *

الزمان والمكان :

الزمن الذى تستغرقه أحداث هذه المأساة التى يمكن وصفها بالكلاسيكية لا يتعدى الأربع وعشرين ساعة . المسرحية تبدأ فى الظهر وتنتهى فى صباح اليوم التالى . كامو يطبّق إذًا قاعدة وحدة الزمان – وهى شرط أساسى فى المأساة الكلاسيكية – كما يطبّق أيضًا قاعدة وحدة المكان . نحن تارة فى صالة الفندق المشتركة ، وتارة فى حجرة بان ، لكننا لا نبرح الفندق . ألحق كامو بالزمان والمكان قيمًا إيجابية وسلبية ، وجعل من كل منهما رمزًا له دلالته .

يقول كامو :

" كتبت سوء تفاهم عام ١٩٤١م فى فرنسا المحتلة . كنت أعيش فى جبال هذا البلد . وقد يكفى كل من هذا الموقف التاريخى والموقع الجغرافى لتفسير الخوف من الحبس الذى كنت أقاسى منه إذ ذاك والذى ينعكس فى هذه المسرحية " .

أبطال سوء تفاهم سجناء فى مكان " مغلق " هو صورة لعالمنا اللامعقول . هذا المكان المأساوى يذكّرنا فى مسرح راسين، والصالون ذى الأرائك الثلاث فى مسرحية الجلسة سرية لسارتر . نقول إنهم سجناء ؛ لأنه حكم عليهم بالعيش فى هذا المكان وعدم الخروج منه إلا للقاء الموت والعدم؛ لذا كان

خروجهم ودخولهم أمرًا مهمًّا له معنى بعيد المدى . تتخطى الأم ومن بعدها مارتا ، عتبة الفندق المشئوم لقتل المسافرين أو لتلقيها بنفسيهما في الترعة . إن الداخل إلى هذه المصيدة لا يخرج منها إلا ميتًا . هكذا الحال بالنسبة إلى يان . صحيح أن ماريا تخرج حية من الفندق ، لكنها تغادره وهي محطمة يائسة . في هذا المكان " المغلق " يحوم القدر حول ضحاياه .

لكن هناك إمكانية للفرار ، في الشوق والأحلام . مارتا تعيش في هذا المكان " المعادي " الذي لا أفق له وتحلم بمكان " مفتوح " و" صديق " ولا نهائية البحر المتلألئ تحت أشعة الشمس . وما هذا المكان إلا البحر الأبيض المتوسط وشمسه الساطعة على الشاطئ الجزائري .. الرمزية تجعل الشكل الذي تؤلفه القوى الدرامية في المسرحية – تعب الأم ، وأملها في النوم ، استسلامها ، حب ماريا الظاهر ليان ، إلخ .. – يبدو مصطنعًا .. إن ما تقوله الشخصيات يحجب ما تمثله ، وبالتالي، يطغى معناها على حقيقتها . الأم ، تلك القاتلة التي ملّت جرائمها تفرض نفسها علينا فرضًا ، بالرغم من قلة الدراسة النفسية التي خصّها بها المؤلف . إنها تنشد الراحة والسلام ليس إلا . لكن موت ابنها يسلمها إلى اليأس، ويكشف لها في الوقت نفسه عن حب طاهر قوي ما زال يضيء قلبها المظلم، حب ابنها . الابن، يان إنسان سعيد، يود لو أنه

وجد امه واخته واسعدهما :

" لست فى حاجة إليهما ، لكنى ادركت انهما قد تكونان فى حاجة إلىّ ، وإن الإنسان لن يكون وحيداً ابداً " .

ونستعرض الآن مشاهد من تلك المسرحية الفذة . . .

(الساعة الثانية عشر ظهراً . صالة الفندق المشتركة . إنها نظيفة مضيئة ، وكل شىء فيها واضح جلى) .

المشهد الأول

الأم : سوف يعود .

مارتا : أقال لك ذلك ؟

الأم : نعم ، عندما خرجت .

مارتا : سيعود وحده ؟

الأم : لست أدري .

مارتا : أغنى هو ؟

الأم : لم يهمه الثمن .

مارتا : إذا كان غنيًا ، فهنيئًا لنا . لكن ينبغي أن يكون وحيدًا أيضًا .

الأم (متعبة) : نعم ، وحيدًا وغنيًا ، عندئذٍ، سيتحتم علينا أن نعيد الكرة .

* * *

ويدور الحوار بين يان (الابن) وزوجته ماريا .. إنه يصر على الذهاب وحده ليلتقي بالأم والأخت .. يصر على الذهاب إلى نهايته المأساوية .. (تدخل ماريا .. يلتفت يان نحوها فجأة) .

بان : لقد تبعتنى .

ماريا : سامحنى ، لم أحمل . ربما ذهبت بعد قليل ، ولكن دعنى أرى المكان الذى أتركك فيه .

بان : قد يحضر أحد ، ولا أتمكن من فعل ما أريد .

ماريا : لنعط أنفسنا على الأقل فرصة مجيء أحد ونعرفه عليك . (يدير رأسه لحظة) .

ماريا (تنظر حولها) : هنا .

بان : نعم هنا . خرجت من هذا الباب من عشرين سنة . كانت أختى طفلة صغيرة . كانت تلعب فى هذا الركن . لم تأت أمى لتقبيلى . وحسبت إذ ذاك أن الأمر سواء عندى .

ماريا : بان ، لا أستطيع أن أصدق أنهما لم تتعرفا عليك منذ قليل . إن الأم تتعرف دائمًا على ابنها .

بان : إنها لم ترنى منذ عشرين سنة . كنت حدثًا ، بل أكاد أكون صبيًا . وأمى تقدمت بها السن وبصرها ضعف . أنا نفسى تعرفت عليها بصعوبة .

ماريا (نافذة الصبر) : اعرف أنك دخلت ، وقلت " صباح الخير " وجلست ، ولم تتعرف على أى شىء .

يان : ذاكرتي خانتني ، لقد استقبلتاني دون أن تنطقا بكلمة، وقدمتا إليّ العصير الذي طلبته، ونظرتا إليّ ولم تريانى . كان كل شيء أصعب مما كنت أتصور . .

ماريا : تعلم جيداً أن الأمر لم يكن صعباً ، وأنه كان يكفي أن تتكلم . . في مثل هذه الحالات، يقول المرء : "ها أنذا"، وتعود المياه إلى مجاريها .

يان : نعم ، ولكني تخيّلت الكثير . وأنا الذي توقع قليلاً الوجبة التي تقدّم إلى الضال العائد، قدموا إلي كوبًا من العصير مقابل نقودي . تأثرت ، ولم أقو على الكلام .

ماريا : كلمة واحدة كانت تكفي .

يان : ولكني لم أجدها، ماذا؟ أنا لست متعجلاً إلى هذا الحد . لقد جئت إلى هنا لأقدم ثروتي، وشيئًا من السعادة إذا استطعت .

* * *

ها هو يان مع أخته مارتا في الفندق، فندق الموت وهي لا تعرفه . .

(يجلس يان . يدخل الخادم العجوز . يبقى الباب مفتوحًا ليدع مارتا تمر ، ثم يخرج) .

يان : صباح الخير . جئت من أجل الغرفة .

مارتا : اعرف . إنها تهيأت لك . يجب أن اكتب اسمك فى سجلنا .

(تذهب لإحضار السجل ، و تعود)

يان : عندكم خادم غريب الأطوار

مـارتا :هذه هى المرة الأولى التى يعيب علينا أحد شيئًا بخصوصه . إنه يفعل دائمًا بالضبط ما عليه أن يفعله .

يان : أوه . ما هذا بماخذ . غاية ما فى الأمر أنه لايشبه عامة الناس . أأيكم هو ؟

مارتا :لا ، ليس ذلك . .

يان : أيتكلم إذن ؟

مارتا : بأقل قدر ممكن ، وفيما هو ضرورى فقط .

يان : على أى حال ، يبدو أنه لا يسمع ما يقال له .

مـارتا : لا يمكن القول بأنه لا يسمع . كل ما هنالك أنه لا يحسن السمع . .

* * *

مارتا : أعتقد أن لديك إثبات شخصية ؟

يان : نعم ، ويمكنني أن أريك إياه .

مارتا : لا داعي ، يكفي أن أوضح ما إذا كان جواز سفر أم بطاقة شخصية .

يان (مترددا) : جواز سفر . هاهو ذا . أتريدين الاطلاع عليه؟ تأخذ الجواز في يدها ، وتتأهب للاطلاع عليه . لكن يظهر الخادم عند الباب . .

والخادم هنا هو القدر الذي يدفع الإنسان إلى النهاية المحتومة . .! * * *

وتصل الأحداث إلى الذروة حين يشرب يان الشاي وفيه المخدر الذي ناولته إياه أخته مارتا . .

الأم : سامحني يا سيدي ، قالت لي ابنتي أنها قدمت لك شايا . .

يان : ترين ذلك . .

الأم : أشربته ؟

يان : نعم ، لماذا ؟

الأم : آسفة ، سآخذ الصينية .

يان (يبتسم) : آسف إذا كنت أزعجتك .

الأم : هذا لا يهم . في الواقع هذا الشاي لم يكن مخصصاً لك .

يان : آه . هذا هو الأمر إذاً . لقد أحضرته ابنتك دون أن أطلبه .

الأم (بنوع من التعب) : نعم هو ذاك ، ربما كان من الأفضل . .

يان (مندهشاً) : صدقيني ، أنا آسف لذلك . لكن ابنتك أرادت أن تتركه بالرغم من هذا . .

حين تفارقه أمه يظل ينظر إليها كمن يودعها الوداع الأخير . . (ينظر إليها وهي خارجة . تصدر عنه حركة . في الوقت نفسه ، تبدو عليه علامات التعب . يظهر أنه يستسلم له ، ويستند إلى الوسادة) . .

يان : ساعود غداً ماريا ، وأقول " ها أنذا " . ساسعدهما . كل ذلك واضح . كانت ماريا على حق .

(يتنهد ، ويتمدد قليلاً) .

أوه . لا احب هذه الأمسية حيث كل شيء يعيد جداً .

(يرقد تماماً ، يقول كلمات لا تسمع ، بصوت يكاد لا يسمع) .

نعم أم لا ؟

(ينقلب . ينام . الليل يكاد يخيم على خشبة المسرح صمت طويل . ينفتح الباب ، تدخل المرأتان ومعهما ضوء . الخادم العجوز يتبعهما) .

والآن المرأتان تتحدثان عن الخلاص من القتيل :

مارتا : هكذا . كل شيء جاهز . بعد لحظة ، تكتمل مياه

الترعة لننزل . سنجيء وناخذه عندما نسمع الماء يسيل فوق السد ، تعالى .

الأم (بهدوء) : لا ، إننا مرتاحون هنا .

(تجلس)

مارتا : لكن ...

(تنظر إلى أمها وبتحد) .

لا تظني ان ذلك يخيفني . لننتظر هنا .

الأم : نعم . لننتظر . الانتظار حلو . الانتظار مريح . بعد قليل، سيتحتم علينا حمله على طول الطريق ، حتى الترعة . وأنا متعبة من ذلك مقدماً ، تعبا من القدم بحيث لا يمكن لدمي أن يهضمه .

والنائم في هذه الأثناء لا يحدس شيئًا . ينام . لقد انتهى أمره مع هذا العالم . من الآن فصاعداً ، سيكون كل شيء سهلاً عليه . سينتقل فقط من نوم تؤمه الصور إلى نوم لا احلام فيه . ولن يكون ما يعده عامة الناس انتزاعًا بغيضًا إلا رقادًا طويلاً بالنسبة إليه .

* * *

وبعد تسوية المسألة تنجلي الحقيقة الرهيبة ..

(يظهر الخادم العجوز في أعلى السلم . يهبط نحو مارتا ، يمد لها جواز السفر ثم يخرج دون أن يقول شيئًا : تفتح مارتا جواز السفر وتقرؤه بلا رد فعل) .

الأم : ما هذا ؟

مارتا (بصوت هادئ) : جواز سفره . اقرئى .

الأم : تعلمين جيداً أن عينىَّ متعبتان .

مارتا : اقرئى . ستعرفين اسمه .

(تأخذ الأم جواز السفر ، تأتى وتجلس أمام المائدة، تبسط "الكرنيه" وتقرأ . تنظر مدة طويلة إلى الصفحات التى أمامها) .

الأم (بصوت واهن) : ما كنت أعرف تماماً أن الأمور ستسير يوماً على هذا النحو ، وأنه سيتحتم علينا أن نكف .

مارتا (تأتى وتقف أمام المنضدة) : أماه .

الأم (نفس الأداء) : دعك يا مارتا . لقد عشت بما فيه الكفاية . عشت أكثر من اللازم بمراحل . لم أتعرف عليه، وقتلته . وأستطيع الآن أن أذهب للقائه فى قاع هذه الترعة ، حيث بدأت الحشائش تكسو وجهه .

مارتا : أماه لن تتركينى وحيدة !

الأم : لقد أحسنت مساعدتى يا مارتا . وإنى لآسفة لفراقك إذا أمكن أن يكون لذلك معنى ، يجب أن أشهد الآن أيضاً ، بأنك كنت ابنة طيبة ، على طريقتك . أوليتنى دائماً الاحترام الواجب عليك .

شهقة الموت الموحدة

أورسون سكوت كارد

شهقة الموت الموحدة

أورسون سكوت كارد

● أورسون سكوت كارد Orson Scott Card

– كاتب أمريكى متميز ألف روايات كثيرة شهيرة تعد الأكثر مبيعًا فى العالم كله ..

– من مؤلفاته (لعبة إندر) ، (شيح إندر) ، (مُحَدِّثُ الموتى) التى غزت مكتبات المدارس .

– له روايات من أدب الخيال العمى ، والفانتازيا المعاصرة، ومن ذلك رواياته (الشارع المسحور) ، (السحر) ، (الأولاد المفقودون) ..

– كتب روايات من وحى الكتاب المقدس من أشهرها (الموائد الصخرية) ، (راشيل وليا) .

– له سلسلة شهيرة بعنوان (حكايات الفن ميكر) ، (تبدأ بالولد السابع) ، إضافة إلى دواوينه الشعرية مثل (كتاب مفتوح) ، ومسرحياته وسيناريوهاته .

– مولود بمدينة واشنطون وتربى فى كاليفورنيا وأريزونا وأوتا .

– عمل بالتبشير في البرازيل أوائل السبعينيات .

– يعمل بالتدريس ، وينشئ الورش المسرحية ، ويخرج المسرحيات .

– يعمل أستاذاً للأدب بجامعة فرجينيا الجنوبية .

– يعيش بكارولينا الشمالية مع زوجته كريستين كارد وطفلتهما زينا مارجريت

* * *

● شهقة الموت الموحدة :

لماذا رحلا .. ؟

لم يكن " ديل بورجاسون " معتادًا على الشرود بسهولة . حين يشرد كان يسمع شهقة الموت المُوَحَّدة .. بدأت الحكاية وهو يصعد سلم البيت ليبدل ثيابه .

بيده صحيفة يطالع عناوينها الرئيسية . استوقفته العناوين . جلس على السلم ليقرأ لم يقدر على التركيز فى القراءة .

إنه يسمع بوضوح تام صوت شهقة عميقة .. سمع ابنه " بريان " وله من العمر سنتان – يشهق . الطفل نائم ، وزوجته كولى فى المطبخ تجهز عجينة للخبيز فى الفرن .. سمعها كذلك تشهق . غريب أن يسمع شهيقها فى الوقت ذاته!

انصرف عقل ديل عن القراءة . ترك الصحيفة جانبًا وتساءل :

– كيف يستطيع الناس أن يتوحدوا فى شهقة معًا .. ؟ أهى محض صدفة .. ؟ تذكر أن عليه أن يبدل ثيابه فواصل الصعود ..

* * *

وهو يهبط ، بعد أن ارتدى الجينز ، متأهبًا ليلعب كرة السلة فى الخارج ، وكان الوقت ربيعًا ، نادته كولى :

– القرفة نفدت يا ديل ..

– لا بأس ، ساحضر كمية منها حين أعود ..

صاحت :

– لكنني في حاجة إليها الآن .. قال ديل :

– لدينا سيارتان ..

اغلق الباب وهبط .

شعر بالندم لأنه تخلى عنها ، لكنه تذكر أنه تأخر عن الموعد . لن يضيرها أن تصحب بريان لتبتاع القرفة ..

* * *

فريق اللعبة مكوّن من الزملاء في الشركة التي يعمل فيها .

حاز فريقه النصر . عاد إلى المنزل وهو يتصبب عرقًا . لا أحد هناك غريب .. العجينة تخمرت ، وانتفخت ، وتساقطت على الأرض .

واضح أن كولي طال غيابها ..

– ماذا أخرها ، يا ترى .. ؟

أجاب تساؤله رنين جرس التليفون . بلغه الخبر . تخطّت كولي إشارة المرور الحمراء كالعادة ، وحدثت الكارثة !

التعزية

الحاضرون كثيرون ؛ فعائلة ديل كبيرة ومحبوبة من الجميع. جلس ديل بين الوالدين والحموين، وتوالت كلمات التعزية لكن ديل شرد . راح يفكر . قليل من المعزّين محزونون بالفعل. قليل منهم يعرفون كولى بالكاد . استقالت كولى من الوظيفة ، وهجرت المناسبات الاجتماعية . آثرت أن تبقى في البيت مع بريان . كانت تسليتها الوحيدة القراءة . معظم من حضروا فعلوا ذلك لأجل ديل وحده .

* * *

والده كان بالغ الحزن، باشر الامور حتى الدفنة، تحدث عن الصيد في البحيرة في الصيف ، وعن زملائه الماكرين الذين سعوا لرفع سن التقاعد حتى الخامسة والستين .

ثرثر الأب كثيراً ، كان ذلك رائعًا ، فقد ألهى ديل عن الاستغراق في الأحزان . .

الآن ، يتساءل ديل :

– أكان نعم الزوج لكولى حقًا؟ هل كانت سعيدة بالفعل وهي محبوسة بين أربعة جدران؟ ماذا يفعل؟ حاول أن يخرجها من القوقعة لتلتقي بالناس . قاومته . فشل .

فهل عرفها حق المعرفة؟ لم يظفر بالجواب .

آه ، وبريان .. لم يفهم ديل بريان إطلاقًا !

كم كان طفلاً رائعًا ، وسريعًا في نطق الكلمات! لقد تفوق على أقرانه .

لكن فيم كان هو وابنه يتحدثان؟ تعلق بريان بأمه ، وتعلقت به كولي ، مثل شهقتهما الموحدة .. أسعد ديل كونهما معًا حتى النفس الأخير . ها هما متوحدان تحت الثرى، يتقاسمان اللحد كما تشاركا منذ ميلاد بريان ..

* * *

غلبه الحزن من جديد . بالرغم من كثرة بكائه ..

يكتشف الآن أن الدموع قادمة من جديد .

تعجب : أهو يبكي المنزل الذي خلا ، أم البعد عن الأسرة، أم أن اللحد تعبير عن تفكك روابطهم؟

ترك نفسه على سجيتها . لاحظ، وهو مرعوب ، أن أبويه قد توحدت شهقتهما ..

نظر إليهما . لاحظ أن صدريهما يرتفعان معًا .. ازداد رعبه . أنفاسهما بطيئة ومكتومة . أكان ذلك التوحد مألوفًا لديه؟

نظرت إليه أمه وابتسمت . أومأت إليه . تواصل صامت . لم يكن ديل بارعًا فى التواصل الصامت ، فطالما أحبطه ذلك . كان يريد مراجعة السفر بالطائرة ، ولم يعد يفكر فى التنفس .

قبل إقلاع الطائرة التى تأخرت لمدة ساعة ، بسبب صعوبات فنية فى لوس أنجلوس ، لم يجد فسحة ليتحدث إلى والديه . ثرثر الوالد وضايقه ، جلسوا فى صمت معظم الوقت مثل بقية الركاب . حتى المضيفات والطيار الذى جلس بقربهم كانوا ينتظرون فى صمت وصول الطائرة . .

عم السكون حتى لاحظ ديل أن أباه والطيار كانا يؤرجحان سيقانهما معًا . ثم أنصت وأدرك أن هناك صوتًا موحدًا فى منطقة الانتظار ، وأن هناك صوتًا موحدًا يتردد بين الركاب ، شهيق موحد . . الكل يتنفس معًا . هذا جعله عصبيًا .

كيف هذا؟ كان بريان مع كولى ، وهاهما والداه معًا لسنوات طويلة ، لكن لماذا يتنفس الركاب معًا؟

راح يشرح الأمر لأبيه . . فقال الوالد : إنه مستمتع بالحدث العجيب ، كان يحب الحوادث المدهشة . . أخيرًا اقتربت الطائرة من الهبوط ، واستعد الركاب للنزول . . أدرك ديل أن التنفس لم يكن وليد الصدفة بل رسولاً للموت . توحد تنفسهم لأنهم

كانوا موشكين على الموت . هل يمكن استثمار معرفته لمنع الكارثة؟

أكان بإمكاني إنقاذهم بأن أحذرهم فلا يغيّرون الطائرة؟

كان بمقدوري أن أحذرهم بعد شهيقهم الجماعي . كارثة جديدة . . لم يفلح في إيقاف التفكير فيهم . بدأ ذلك يؤثر على عمله صار بطيئًا ومهزوزًا ؛ فقد كان تركيزه بالكامل على التنفس فقط، كان يتصنت باستمرار على الموظفين في شركته ، منتظرًا اللحظة القاتلة حين يشهقون معًا . كان يتناول طعامه بمفرده في مطعم حين سمع من جديد . تناهى إلى سمعه حشرجة الشهيق الجماعي من كل الموائد . غادر مائدته . قفز وخرج بسرعة عجيبة . لم يتوقف لدفع الحساب ؛ بلغ الشهيق الجماعي الذروة . ذهل النادل، صاح في أثره : مهلاً أنت لم تدفع . . وانطلق خلف ديل . لم يدر ديل إلى أين يذهب ليستفادى الكارثة . لحقه النادل في شارع جانبي صاح وهو يمسك بتلابيبه :

– لا يمكنك أن تغادر بدون دفع الحساب . .

صاح ديل : لا أستطيع العودة ، سأعطيك الحساب هنا . كان يستخرج النقود من حافظته في الوقت الذى دوى انفجار عنيف ألقى بهما أرضًا . اندلع اللهب من المطعم ، وصرخ

الناس والمبنى يتحطم من شدة الانفجار . كان من المستحيل ان ينجو احد . . انسحبت عين النادل في رعب ، وهو يعاود الوقوف . صاح وقد بدأ يفهم :

– كنت تعرف . اكنت تعرف؟

ثم تهرئة ديل من التهمة ؛ فقد اعلنت اكثر من جهة مسئوليتها عن الحادث . لكن قبل الكثير اثناء المحاكمة ما يدين ديل . اقر الأطباء النفسيون انه بحاجة إلى العلاج . تم إيداعه مصحة للعلاج النفسي ، حيث أمضى الدكتور هوارد رامنج الساعات في محادثته ، محاولاً ان يشخّص حالته ، وتركيزه على الشهيق كعلامة لاقتراب الموت . .

* * *

إنذار

سأل ديل الطبيب مرات : إنني صحيح العقل ، ألست كذلك يا دكتور؟ عاد الدكتور يجيبه : ما هي صحة العقل؟ من يملكها؟ أنّى لي أن أعرف؟ سرعان ما اكتشف ديل أن المصحة ليست مكانًا رائعًا . كانت معهدًا خاصًّا ، يأتيه المال من كل صوب ، والناس هناك يقيمون باختيارهم، مما يعني أن الأحوال ممتازة ، مما جعل ديل يشعر بالخجل لثراء والده . كان في المصحة في أمان ، فلم يكن يصله بالخارج سوى التلفزيون . بالتدريج بدأ يألف الناس، ويشعر بالاسترخاء ويفقد وسواسه الخاص بالشهيق ، ويكف عن التصنت ، فشرع بالتدريج يسترد قدرته على النسيان . قال للطبيب وهما يلعبان النرد :

–أوشكت على الشفاء يا دكتور .

تنهد الطبيب وقال :

– أعرف يا ديل وشعرت بخيبة الأمل ، لست أنت السبب فأنت كالنسمة الصافية .

– ضحكا ، وواصل الطبيب : أعاني من السيدات الشابات اللائي يعانين انهيارًا عصبيًّا . .

انتهى الدور بفوز ديل ، ثم نهض الاثنان عن المائدة ،

وسارا إلى الحجرة حيث التلفزيون . تم قطع البرامج بإذاعة أنباء خاصة بالعنف . بدا القلق يحتل الملامح . لم يعتد النزلاء على ذلك النوع من الأنبـاء قـال النبـأ : « من محطات الأقمـار الصناعية الرئيسية تلقى الرئيس إنذاراً بضرب أربع وخمسين مدينة . قال أحد الأقمار : إن الاتصالات بين الولايات سيتم قطعها للتأكيد على جدية الإنذار . تم إخطار الجهات المسئولة عن الدفاع و أعلن أن سكان الأربع وخمسين مدينة تأهبوا لإخلائها .. لم يقدر ديل على التركيز فى البرنامج ؛ فقد سرح بعيداً ، كان جميع من بالحجرة يشهقون بما فيهم ديل . حاول النجاة ولم يستطع ..

فكر ديل : تلك مخاوف وحسب .. جعلتنى الإذاعة أتوهم سماع الشهقة . ظهر قارئ النشرة على الشاشة، ليقول :

– دنفر سيداتى سادتى من المدن المستهدفة . طلبت إلينا المدينة أن نخطركم بسرعة الجلاء عنها فوراً . نفذوا تعليمات المرور ، واتجهوا شرقًا . توقف قارئ النشرة وهو يشهق متوحداً مع من بالحجرة .

قال الدكتور : يا ديل ..

كان ديل يشعر بدنو النهاية ..

- أيمكنك ياديل سماع الشهقة ؟

سمعها ديل ..

* * *

مرحبًا بالموت

عاد المذيع يقول : دنفر هي بالتحديد الهدف .. أقلعت الطائرات باتجاهنا . هلم أسرعوا . لا تتوقفوا لأي سبب . أمامنا ثلاث دقائق .. يا إلهي !

نهض عن كرسيه يشهق بصعوبة ، مبتعدًا عن الكاميرا . لم يغلق أحد أجهزة الإذاعة .

قال د. رامنج لمن في الحجرة : لن نستطيع الفرار . إننا وسط دنفر. أملنا الوحيد أن نبطح أرضًا .. انبطحوا ..

قال ديل : لقد شفيت تمامًا ..

على شفتي الطبيب شبح ابتسامة . قال :

– ليس مكانك هنا ، فلم ألق شخصًا صحيح العقل مثلك في حياتي . سرح ديل بعيدًا . تخيل أن الأرض تدروها الرياح، وأن بريان وكولي في القبر . دوى انفجار هائل فقال لنفسه :

– إنني لاحق بهما .

راودته صورة بريان وهو يتعلم خطواته الأولى للسير .. يصرخ حين يقع ، وكولي تصيح فيه : لا تساعده وإلا اعتاد ذلك .. ظل ديل يسمع بريان يصرخ لمدة ثلاثة أيام ، ولم يحاول عونه . ها هو بريان تعلم المشي بسرعة . لكن الآن ،

فجأة ، شعر ديل بأن عليه أن يعاونه ، وأن يحتضنه قائلاً :

– لا بأس، بابا سيعينك . .

لمع برق أبيض ثاقب . زاغت الأبصـار . دوى انفـجـار ، وطارت الجدران والنوافذ ، خفتت الأصوات . أنات جد واهنة . . وساد السكوت . .

فى اللحظة الأخيرة ، بينما تنطلق من رئتيه الصرخة ، وتفارق عيناه المحجرين من شدة الحرارة أدرك ديل انه رغم معرفته السابقة لم يبقَ حيًّا سوى النادل عديم القيمة فى نظر ديل !

* * *

مائة عام من العزلة

جابرييل جارسيا ماركيز

مائة عام من العزلة
جابرييل جارسيا ماركيز

● حياة ماركيز ، ومؤلفاته ..

* ولد جابرييل جارسيا ماركيز بكلومبيا فى ٦ / ٣ / ١٩٢٧م.

* كانوا يُدلّلونه باسم (جابو) .

* عمل جده فى مصنع الثلج بقريته (آراكاتاكا ، وهى التى أسماها (جابو) باسم (ماكوندو) فى رواياته ..

* كان جابرييل واحدًا من سبعة عشر ابنًا أنجبهم والده عامل التلغراف بالقرية ..

* لجابرييل مؤلفات وروايات منها (لا أحد يكتب إلى الكولونيل)، و (حكاية بحّار غريق)، و (عاصفة الأوراق)، و(خريف البطريك) ، و أشهرها جميعًا روايتنا هذه (مائة عام من العزلة) .

* حاز جائزة نوبل عام ١٩٨٢ م.

* يقيم إقامة دائمة فى المكسيك ..

* يتناول فى كتاباته نماذج من الناس فى عزلتهم ، فى جو

أسطورى بدائى ، وتطورهم فى المجتمع الحضرى ومجتمع المدينة، ثم انقراضهم وعدمهم .. وفى " مائة عام من العزلة " تحدث عنهم عبر ستة أجيال .. وهو يحكى الحكاية من خلال الحفيد " أورليانو " سليل عائلة (بوينديا) ، وقد عثر على لفافة مدوّن فيها حكاية الأجداد ..

* هلم إلى الرواية البديعة ، من أعظم روايات القرن العشرين ..

* * *

● مائة عام من العزلة

تقديم : يتناول ماركيز فى الرواية عائلة بوينديا فى مسيرتها خلال مائة عام عاشتها فى قرية (ماكوندو) .

أتم ماركيز تأليف روايته فى نحو العام ونصف العام . .

على رأس العائلة خوسيه أركاديو وزوجته أورسولا ، وهى قريبته .

الطريف أن يستشعر ماركيز خرافة أن يجتاح الخوف الزوجين من أن يولد لهما طفل بذيل خنزير . . لكن الخوف ينتهى حين أنجب الزوجان ثلاثة أطفال هم أركاديو ، أورليانو ، أمارنتا وهم أطفال أصحاء .

* * *

تدور الأحداث حول ثلاثة محاور هى :

أولاً : الاب خوسيه المغامر . . الذى ينحو إلى عالم التجريب ، ويرتاد عالم المغامرات ، والذى يؤسس قرية ماكوندو ، ويصبح الزعيم فيها . .

ثانيا : الام التى تعايش الواقع ، وتمدّ من غلو زوجها ، وتربى أطفالها ، وتدافع عنهم إلى النهاية فى شجاعة نادرة المثال .

ثالثا : الأولاد : أركاديو الضخم الذى لا هم له سوى

الحصول على شهوته وتحقيق أغراضه على أى نحو . .

أورليانو ذو العزيمة التى لا تنحنى ولا تتوقف . إنه الزعيم الآمر الناهى ، الذى يكثر من إنجاب الذرية من زوجات كثيرة ويعهد بهم إلى أمه ، وأخته الصغرى أمارنتا . .

أمـارنتـا ذات الحنان والحب الذى لا ينتـهى للأب والأم والأخوين . .

ثم الأحفاد الذين يتجهون إلى الانفتاح على العالم بلا حساب ، ويكون انهيار العائلة وتصدعها . . .

* * *

الجنرال يتذكر

بعد أعوام طويلة ، وهو في طريقه إلى الإعدام ، تذكر الجنرال أورليانو تلك الأمسية البعيدة حين حمله أبوه ليرى الثلج . . .

كانت "ماكوندو" حينذاك قرية ذات عشرين بيتاً مبنية من الطوب اللبن وأعواد الخوص على ضفاف النهر . . كانت حياة الجنرال شبه خاوية إلى أن التقى أبوه ذات يوم بشخصية غريبة الأطوار : ملكيادس الغجري ، أو ما يسمونه بالمغناطيس . . !

* * *

كان الغجري ضخم الجثة ، ذا لحية بدائية . . يحمل قضيبين معدنيين ، يشير بهما فتتساقط من أماكنها القدور والمراجل والأشياء المعدنية !

فكر الأب خوسيه اركاديو بوين دبا في شراء القضيبين العجيبين ليستخدمهما في انتزاع الذهب من باطن الأرض .

ضحك ملكياوس وقال :

لا جدوى لهما في ذلك .

في مقابل القضيبين حصل الغجري على بغلة وبضع عنزات! بدلاً من أن يعثر خوسيه ومساعدوه على الذهب ،

استخرجوا تابوتًا بداخله هيكل عظمى . . !

* * *

عاد ملكياوس مع صحبه من الغجر يعرضون مرآة مكبرة . سرعان ما اشترى خوسيه المرآة لقاء القضيبين وثلاث قطع من النقود .

عرّض خوسيه نفسه لأشعة العدسة الشمسية ، وأصيب بحروق شديدة !

سجّل خوسيه تجربته فى كتيب بعثه إلى السلطات والنظر الرد . . لكن الرد لم يتم . .

استرد الغجرى العدسة وردّ إليه القضيبين ، إضافة إلى بعض الخرائط .

* * *

اشتكت اورسولا من زوجها خوسيه . إنه يهمل البيت والأولاد الثلاثة : اركاديو ، اورليانو ، امارنتا . . لكن سرعان ما تصدّى الغجرى للدفاع عن صديقه خوسيه ، فذكر انه من اذكى البشر . . ولذلك أهداه معمل الكيمياء . . . !

اقنع خوسيه اورسولا ان تعطيه نقودها الذهبية على ان يردها لها اضعافًا مضاعفة بتأثير الزئبق . وسرعان ما انتهت التجربة إلى ضياع الذهب . .

ذهبت أورسولا . عادت بعد خمسة أشهر بملابس جديدة وبصحبة هائلة . . رجال ونساء لهم شعر ناعم وبشرة بنية ، يتكلمون نفس لغة أهل القرية . . . معهم بغال محملة بالطعام وعربات تجرها الثيران بها أثاث وعدد منزلية . . لقد أتوا من الناحية الأخرى للبحر . . .

لقد عثرت أورسولا على ما كان زوجها ورفاقه يبحثون عنه . . المخترعات العظيمة !

زواج أورليانو

تزوج بيلار من غجرية هندية شديدة الحسن وأنجب منها ولداً، وحُمل ابنُ بيلار إلى بيت جده خوسيه . . !

كان ذلك في الأسبوع الثاني من مولده ، وقد قبلته أورسولا في سخط ، وتحت ضغط من خوسيه . . .

منحوه اسم اركاديو . . وتولت تربيته الهندية فيزيتا ثيون . . وصلت الهندية إلى القرية مع أخيها هرباً من وباء (الأرق) الذى غزا قبيلتها منذ أعوام . .

* * *

راح خوسيه يخطط شوارع القرية ، ويحدد أماكن منازلها . . لقد منحه أهل القرية سلطة كبرى ، وعهدوا إليه بتوزيع الأرض . . .

أما أورليانو فكان يجرى التجارب مكان أبيه ، في العمل . . حولته العزلة إلى إنسان صموت ، منعزل . .

أعطاه أبوه مفاتيح البيت ونقوداً . أنفق أورليانو النقود في شراء حامض الإبروكلوريك لإعداد الزئبق . .

* * *

وظهر في الأفق نجم ربيكا . . !

كانت في الحادية عشرة حين سلمها تجار الجلود لخوسيه مع خطاب توصية من شخص ما يطلب من خوسيه رعايتها بعد وفاة أبويها ... نيكانور وزوجته ربيكا ...

جاءوا معها بكرسي هزاز ، وصرة ملابسها .. اعتادت ربيكا الجلوس في الكرسي لساعات مسلطة العينين إلى مكان في الهواء ... أخيراً اكتشفت الهندية وأخوها أن ربيكا لا تنام .. سرعان ما عم الأرق قرية ماكوندو كلها ...

* * *

ذات يوم سلمت أورسولا زوجها خطاباً قائلة : خذ هذا ...

كان أمراً رسمياً من حاكم الإقليم بطلاء واجهة البيت باللون الأزرق .. اندفع خوسيه من فوره إلى مكتب الحاكم وسأله : أأنت من كتب الأمر ؟

أجابه أبوليناز موسكوتي :

نعم .

نحن لا نُوجِّه إلينا الأوامر .. إن شئت أن تظل هنا ، مثل أي مواطن عادي فأهلاً وسهلاً ، أما أن تبث الفوضى آمراً الناس بطلاء بيوتها بالأزرق فعليك أن ترحل في الحال !

شحب وجه الحاكم ... لكن خوسيه حمله من ياقته وألقاه في المستنقعات !

* * *

عاد الحاكم مصحوبًا بستة جنود مسلحين ، وعربة حاملة زوجته وبناته السبع ..

قال خوسيه لأورسولا و الأولاد :

لقد عاد بأسرته . وجبت علينا زيارته .. ! رافقه في الزيارة أورليانو . التقيا هناك ببنتين من بنات الرجل ، أحلاهما رميديوس .

سرعان ما اتفق الطرفان على أن تبقى بيوت القرية مطلية باللون الأبيض ، وأن يرحل الجنود في الحال ، وأن يتزوج أورليانو من رميديوس ..!

* * *

انتابت خوسيه نوبة من الجنون ...

راح يحطم معمل الكيمياء ، فاضطر أورليانو إلى الاستعانة بعشرة أشخاص للسيطرة عليه ...

قيدوه إلى شجرة القسطل في فناء البيت ...

وأقبلت أورسولا وأمارانتا إليه .. وتحدثتا إليه فلم

يعرفهما . . ! شيدوا فوقه كوخًا من سعف النخيل ليحميه من الشمس والمطر !

تزوج أورليانو ورميديوس يوم الأحد . .

كان الأب نيكانورينا الذى قام بمراسيم الزواج شيخًا طاعنًا فى السن ، يئس من إصلاح الناس فى القرية . فالناس كانوا قانعين بحياتهم دون قس . .

بعد الزواج ، تجول الأب فى كل مكان طلبًا للصدقة ، فأعطوه الكثير . .

طاف بالقرية داعيًا إلى الصلاة فى الهواء الطلق . .

* * *

أعلنت رميديوس أنها ستنجب ولداً . هذا جعل ريبكا وأمارانتا تتسابقان على نسج ثوب من الكتان، الوردى اللون، والأزرق اللون . . .

* * *

وصل إلى القرية رجل هائل الجسم ، فى ذراعيه وصدره وشم غامض ، وفى معصمه سوار . .

حكى للناس . لقد غرقت سفينته وبقى أسبوعين يلاطم الأمواج . .

عرفته أورسولا . ألقت نفسها بين أحضانه هاتفة : مرحبًا ولدى اركاديو ..!

لقد حمله الغجر معهم ، واستقر في اليابان سنين طوال ، ثم عاد ليحظى بالدفء مع أهله ..

* * *

أقبل موسم الانتخابات . استقر صندوق الانتخابات الخشبي في ميدان القرية تحت حراسة الجنود الستة .. تم التصويت في حرية تامة ، وفي الرابعة مساء انتهت الانتخابات وأغلق الصندوق .

لكن حاكم الإقليم زوّر الانتخابات، وفاز حزب المحافظين ..

قال أورليانو لأصدقائه :

أنا معكم معشر الليبراليين ، فالمحافظون غشاشون !

ذهب مع أصدقائه لزيارة دكتور نوجيرا .....

كان نوجيرا طبيبًا فاشلاً وإرهابيًا .. !

قال له أورليانو :

– أنت لست سوى جزار .. !

أجابه الطبيب :

– إذن أنت لست بحاجة إلى الدواء ..

– قال له أورليانو :

– إن سولت لكم أنفسكم اغتيال آل موسكوتي سوف أدافع عنهم . . !

سادت الأحكام العسكرية البلاد . أقبلت فصيلة من الجيش إلى القرية لتحتلها . صحبوا معهم مدفعين على ظهر بغلة . .

فرضوا حظر التجول منذ الساعة السادسة مساء . .

هاجموا الطبيب وربطوه فى شجرة وأطلقوا عليه النار، وشجوا رأس الأب . . !

اعتدوا على امرأة وقتلوها فى عرض الشارع بكعوب البنادق . .

دخل أورليانو بيتًا اجتمع فيه الأصدقاء . . قال : جهزوا أنفسكم . . سنذهب للحرب . .

سأله صديقه ماركيز :

– ما السلاح ؟

– بسلاحهم . .

فى إحدى الليالى هاجموا معسكر المحافظين وقتلوا الجنود وقائدهم . . !

الثائر

نجا الكولونيل أورليانو من الكمائن ومحاولات الاعتداء ، ومن الموت بالسم .. ورفض وسام الاستحقاق من رئيس الجمهورية .. لقد أصبح قائد القوات الثورية .. !

قال لأخيه أركاديو ، قبل أن يرحل :

– أتركك هنا لماكوندو ...

* * *

ارتدى أركاديو زى الماريشال ، وعلّق فى وسطه سيفًا !

أصبح أركاديو ديكتاتوراً ليبراليًا ... هاجم بيت موسكوتى ... حطم الأثاث ، وضرب البنات ومثّل بموسكوتى!

اقبلت أورسولا تحمل سوطًا . لسعته بالسوط ففر مذعورًا! فكت أورسولا اغلال موسكوتى وحملته إلى بيته ...

وصارت أورسولا هى صاحبة الأمر والنهى فى القرية !

* * *

وصل إلى ماكوندو عجوز . قال لأركاديو .

أنا الكولونيل ستيفنسون .. حكى الكولونيل أن

الليبراليين كانوا فى الطريق إلى التلاشى .. ولقد ترك الكولونيل أورليانو يناضل وانسحب؛ لأن أورليانو كلّفه بالمجىء إلى القرية يحمل رسالة إلى أركاديو .. وأخرج من جيبه سمكة صغيرة من الذهب قائلاً :

– اعتقد ان هذه كافية .. !

– وعند شروق الشمس انعقد مجلس عاجل للحرب ، وتم إعدام أركاديو !

أوصى بان تسمى ابنته باسم أورسولا ! وان يسمى الولد باسم جده خوسيه !

* * *

انتهت الحرب وسقط أورليانو اسيراً .. !

كان صاحبه فى الأسر الكولونيل ماركيز ... سمعت أورسولا صوت ابنها أورليانو .. هرعت تجرى بصحبة أمارنتا حتى ناصية الشارع ..

بدا لهما مثل المتسول ، بثياب ممزقة وقدمين حافيتين .. وصاحبه ماركيز بنفس الصورة .

صفعت أورسولا جنديًا حاول التصدى لها ، وانطلقت تحتضن ابنها .. فقال :

– زوريني في السجن يا أماه . .

* * *

زارت زوجة أركاديو ، واسمها صوفيا ، بيت أورسولا مع ابنتها الكبرى وتوأمين ولدا بعد إعدام أبيهما أركاديو . . اسمت أورسولا البنت رميديوس والوالدين خوسيه أركاديو الثاني وأوريليانو الثاني . . ووقع عبء الرعاية على عاتق أمارنتا . .

حدث انقلاب سياسي وعسكري ، وعاد الكولونيل أوريليانو منتصراً . . وغادر جنود الحكومة معسكراتهم بلا مقاومة .

* * *

وصل أوريليانو إلى البلاد . .

نقل الخبر إلى البيت الجنرال مونكادا حاكم القرية . قال حين وصل أوريليانو إلى القرية :

– أريدك أن ترسل هذه الأشياء إلى زوجتي !

– هل لازالت في ماناوري . . ؟

أجابه مونكادا :

– نعم أسلمها بنفسي !

* * *

ذهب أورليانو إلى ماناوري بعد إعدام مونكادا . سلّم الأرملة الأشياء . لم تسمح له الأرملة بدخول بيتها . قالت :

– لا تدخل . . !

* * *

اعترض الكولونيل ماركيز على سلوكيات أورليانو . قال له الأخير :

– سلم نفسك في المعسكر ، وانتظر المحاكمة . .

وبعد يومين حكم على الكولونيل ماركيز بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى !

عشية تنفيذ الحكم زارت أورسولا ابنها . قالت في هدوء : ستطلق النار على ماركيز . حسنًا ، أقسم أنني سأقتلك بيدي هاتين . . .

* * *

في خيمة خصصت له بالمعسكر أطلق أورليانو على نفسه الرصاص . .

كانت أورسولا تغلي اللبن . صاحت :

– قتلوا أورليانو . . ! استدعوا الطبيب . استخرج

الرصاصة . . قال له أورليانو :

– لو بقيت لي سلطتي لأمرت بإعدامك لأنك جعلتني موضع سخرية . . !

بعدها اعتبر الناس محاولة انتحاره عملاً مشرفاً . . !

* * *

بعد سنوات ، وأورليانو الثاني في فراش الاحتضار ، تذكر أورليانو الثاني وقت أن دخل غرفة النوم ليشاهد طفله الأول . . قال :

سأسميه خوسيه أركاديو . .

ووافقته فرناندا دل كاربيو . .

* * *

ذات يوم كانت أورسولا تنظف تمثالاً ضخماً من الجبس يمثل القديس خوسيه . سقط التمثال وانكسر . . كان مليئاً بالقطع الذهبية . .

قالت أمارنتا :

– جاء بالتمثال ثلاثة رجال ، طلبوا أن أحفظ التمثال حتى يتوقف المطر . . !

* * *

بحث أورليانو الثانى عن منزل ليحضر أمه وأخته . . .

أعجبه المنزل الكبير الآيل للسقوط فى أحد الميادين .

سأل :

– ملك من هو المنزل ؟

– قالوا : لأرملة وحيدة . . .

ذهب الرجل إلى المنزل . . قال للأرملة :

– أريد استئجار المنزل . . .

صوبت المرأة نحوه مسدسًا . . قالت :

– ارحل . . !

– حين قص الحكاية عن أهل البيت صاحت أورسولا :

– يا إلهى . . إنها هى . . ربيكا . . ألم تزل حية . . ؟

* * *

فكر أورليانو الثانى . . .

لابد من إحضار السكة الحديد . . . !

لقد زاد إنتاج الثلج عن حاجة السوق المحلى ، فما المانع من تصديره . . ؟

دفع الرجل النقود .. ورحل على أمل العودة بعد انقضاء موسم المطر .

بعد شهور .. سمع أهل القرية صوتًا مرعبًا .. اهتزوا من صفير له دوى هائل .. وتنفس مهول ... انطلقوا يجرون ... رأوه يحييهم من نافذة القطار . !

وصل القطار إلى ماكوندو . !

* * *

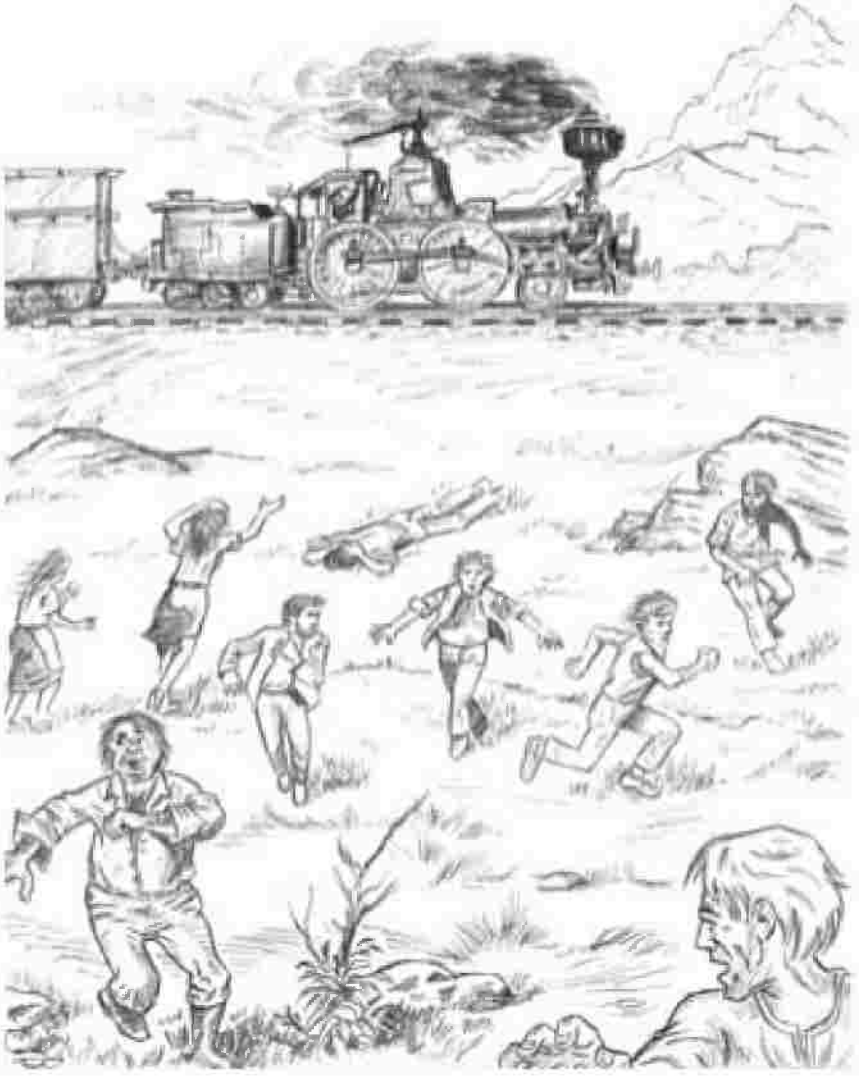

صعود ميديوس

سيل من المخترعات الحديثة أغرق أسواق القرية .. !

تامل السكان المصابيح الكهربية التى يغذّيها المولد الذى أحضره أورليانو الثانى معه بالقطار ... وسرعان ما صعق الناس وهم يشاهدون الأفلام للمرة الأولى على الشاشة البيضاء ...

وتوالت العجائب كالجرامافون ذى الأسطوانات تنبعث منه الموسيقى والأناشيد ..

وأقبل إلى البيت صيقا المستر هربرت .. ! رجل ربعة التقى به أوريليانو الثانى بالصدفة وهو يطلب غرفة خالية فى فندق القرية الوحيد : فندق يعقوب .. لم يسمح مدير الفندق بتسكين الرجل ، فصحبه أورليانو الثانى ليقيم فى البيت ..

كان الرجل يتاجر فى المناطق ، وحقق أرباحًا هائلة .. فى اليوم التالى لوصوله أقبل على القرية وفد كبير من المهندسين والعلماء ورجال المساحة .. وعلى رأسهم جاء المستر براون ..

* * *

ظهرت البيوت الخشبية فى القرية بأسقف من الزنك .. سكنها هؤلاء القوم الغرباء ..

وسرعان ما أصبح البيت ميدانًا للفرق الموسيقية ، ومرتعًا

لرجال الأعمال . . !

* * *

حضر إلى القرية ولدان للكولونيل أورليانو . . قالا :

– حضرنا لأن الجميع يحضرون . .

أما رميديوس الجميلة فهي الوحيدة التي اعتزلت الناس . .

قالت لها أورسولا محذرة :

– افتحي عينيك وإلا أنجبت أبناء لهم ذيول الخنزير . . !

* * *

كانت رميديوس وفرناندا وأمارنتا في غرفة فرناندا . . انشغلت رميديوس وفرناندا بشئ ملاءة . . فجأة ارتفعت رميديوس في المساء . . هبت ريح قوية رفعتها وانطلقت بها وهي تردد :

– وداعًا !

حدث أن تعرض طفل وجده للموت على يد عريف من الشرطة شاهدت القرية ما حدث . بلغ الخبر الكولونيل أورليانو فقال مهددًا :

– سوف أقوم بإمداد أبنائي بالسلاح للقضاء على هؤلاء

الأجانب..! ولم يمض الأسبوع إلا وتعرض أولاده السبعة عشر للقتل.. وذات يوم التقى بأورسولا عند شجرة القسطل. قالت: اقرأ على والدك السلام ...

– لماذا

أجابته أمه :

– إنه حزين للغاية . إنه يعتقد أنك موشك على الموت.

قال ساخراً :

– قولي له إنني سأموت حين أشاء .. ! والحف عليها أن تدل على كنز الذهب الذي عثر عليه في جوف الشمشال. فقالت :

– في يوم ما سوف يظهر من يستحق ، ويستخرجه من باطن الأرض.. فذهب من فوره إلى صديقه الكولونيل ماركيز يطلب عونه على اشعال حرب ضد الأجانب ..

قال الرجل : عزيزي ، لكم شخنا .. !

* * *

نسجت أمارنتا لنفسها كفناً .. وانزوى سكان ماكوندو على أنفسهم على يد الغرباء وبادر إلى استثمار الأموال في القرية ...

الوحيد السعيد بالغرباء من أهل القرية كان أورليانو الثاني . . !

كان يملأ البيت بالضجيج . . وتولت فرناندا مسئولية إصدار الأوامر في البيت وقالت لخوسيه أركاديو الثاني الذي عمل رئيس انفار بشركة الموز مضحيًا بمستقبله الكهنوتي : ابتعد أيها الأجرب عن هذا البيت ولا تدنسه !

ذهب خوسيه أركاديو الثاني إلى الورشة للقاء الكولونيل أورليانو . . أغراه بالخروج من الورشة فرفض . . لقد تحطم أمل الكولونيل بعد رفض صديقه ماركيز معاونته فجأة خرج الكولونيل أورليانو ليشهد عرضًا للسيرك وهناك تم اغتياله .

* * *

انفجر الإضراب الكبير، وتوقفت الزراعة، وفسدت الفاكهة على الشجر، وتعطل القطار، وازدحمت القرى بالعاطلين . . كان خوسيه أركاديو الثاني يقود الإضراب مع زعماء النقابات . ويشاركه الكولونيل جافيلان رفع خوسيه الطفل الجديد : أورليانو الجديد فوق رفيته . . .

شاهد الطفل ضابطًا يقرأ الأمر الصادر من الرئيس العسكري للإقليم . . والذي يعلن أن المضربين عصاة ومتمردون وأن الجيش سوف يعدمهم رميا بالرصاص لم يكد القرار يتلى

حتى غامت السماء .. ونزل المطر ..

* * *

ماتت بيلارثيز تيرا ذات صباح فى الكرسى الهزاز ..

كرسى ربيكا

دفنوها بالكرسى حسب رغبتها الأخيرة من غير تابوت انزلوها بحبل غليظ ..

وفى أحد الأيام ولدت أمارنتا اورسولا ولداً ، لكن حينما كانوا يقلبونه على بطنه صاحت القابلة فى فزع: رباه .. إن له ذيل خنزير ..!

* * *

الفهرس

الـــــروايـــــة	الصـفحة
ساحر الصحراء	٣
سوء تفاهم	٤١
شهقة الموت الموحدة	٦١
مائة عام من العزلة	٧٩